المبحث الحادي عشر
التربية وتطور المجتمع والمرأة المسلمة المعاصرة

إن مما لاشك فيه أن كيفية معاملة المرأة تنعكس آثارها على مجتمعها وحضارته وثقافته، باعتبارها محور المجتمع الذي تدور حوله جميع شئونه. وقد مرت المرأة المسلمة بظروف، انتهت بها إلى الحال الذي نراها عليه اليوم ؛ حيث ابتعدت كثيرا عن صورة المرأة القوية الفاضلة التي مثلتها مسلمة صدر الإسلام.

وإعادة المرأة المسلمة المعاصرة إلى أصالتها يقتضي من التربية الاهتمام بتنمية قدراتها واتجاهاتها، بما يجعلها تتخذ من مبادئها وقيمها موجها لها في مسيرتها لتغيير ما بنفسها؛ حتى يتغير ما بالمجتمع الإسلامي من تخلف وتبعية.

وسوف نتناول فيما يلي دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة من القيود التي تكبلها عن ممارسة دورها المرسوم لها من قبل الخالق سبحانه وتعالى، وذلك من خلال الحديث عن المحاور التالية:

١- حقيقة التغير الاجتماعي في واقع المرأة المسلمة المعاصرة.

٢- حركة تحرير المرأة الغربية.

٣- حركة تحرير المرأة المسلمة.

٤- دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة.

٥- قضايا ينبغي على التربية أن تعمل على تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بها.

٦- أثر التغير الاجتماعي على الأسرة المسلمة.

٧- دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة لمسئولياتها الاجتماعية.

أولا: حقيقة التغير الاجتماعي في واقع المرأة المسلمة المعاصرة:

التغير والتطور ظاهرة إنسانية وكونية عامة مشاهدة في الواقع، وهي من المسلمات التي لا تحتاج إلى برهان.

"والتغير الاجتماعي جزء من التغير الحضاري الشامل في المجتمعات البشرية، لأنه..

obeikandl.com

يقع في تركيب ووظائف المجتمع.. " (محسن عبد الحميد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٣).

ويبحث التغير الاجتماعي في المبادئ التي تحكم الذبذبات الاجتماعية، فهو يقوم على تحليل موضوعي لأسباب هذه الذبذبات واتجاهاتها . وبمعنى آخر فهو يهتم بالمجتمع في الواقع، (غيث، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م، ص ١٨١).

ويشير الرشدان إلى أن التغير الاجتماعي في أية أمة يحدث نتيجة **لعاملين اثنين**:

الأول: داخلي مثل التطورات التي تحدث في نظم الحكم أو القوانين أو قواعد الأخلاق.

والثاني: خارجي، نتيجة للتواصل مع الأمم الأخرى. (الرشدان، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٤٣).

ونجد القرآن الكريم يشير إلى حقيقة التغير باعتباره قانونا اجتماعيا في كثير من الآيات، منها قوله تعالى: ﴿ **وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [البقرة:٢٥١]. وقوله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ** ﴾ [آل عمران:١٤٠].

ويظهر الواقع بصورة لا شك فيها أن تغيرات كثيرة قد طرأت على وضع المرأة المسلمة المعاصرة، باعتبارها جزءا من الكيان البشري العالمي الذي لحقه التغير والتطور في العالم كله.

وقد جاء في التقرير الخاص بوضع السكان لعام ١٩٨٩م ما نصه:

" تؤدي التغيرات التي تجري في كل البلدان النامية إلى تغير وضع المرأة بسرعة، وإن لم يكن إلى الأفضل دائما. " (وضع السكان عام ١٩٨٩م، ص ٤).

وهذا ما أكدته شهيدة الباز في تقريرها؛ حيث أشارت إلى أن التغيرات التي طرأت على المرأة المسلمة المعاصرة، قد شملت البناء المادي وكذلك البناء غير المادي لحياتها، إلا أنها – التغيرات – لم تكن نحو الأفضل دائما. (الباز في المستقبل العربي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ع ١٢٠، ص ١٠٤).

وقد أشار المهتمون بالدراسات الاجتماعية إلى مجالات التغير المتعلقة بالمرأة المسلمة

المعاصرة فكان من أهمها [1]:

١- **النزعة المادية**، التي تغلبت على القيم الروحية والمثل الأخلاقية، وأدت إلى سيادة النمط الاستهلاكي.

٢- **النزعة العلمية**، حيث استطاعت المرأة المسلمة المعاصرة التفوق في المراكز العلمية، فدخلت الجامعات ووصلت إلى أعلى مراحل التعلم.

٣- **النزعة الاستقلالية** التي حولت الأسرة الممتدة إلى نووية، مما فرض كثيرا من المتغيرات على أساليب الحياة.

٤- **خروج المرأة للعمل ومشاركتها في الإنفاق على الأسرة.**

٥- **التراجع الجزئي في سلطان العادات والتقاليد.**

٦- **تحمل المرأة لمسئولية الأسرة في غياب الزوج** طلبا للرزق خارج الوطن، أو لغير ذلك من الأسباب.

ومن أجل فهم حقيقة هذه التغيرات التي طرأت على وضع المرأة المسلمة المعاصرة، ودور التربية في ترشيدها فإننا نحتاج إلى الاسترشاد بالمنهج الذي أشار إليه العلواني من أجل معالجة التغير الاجتماعي.

فهو يعتبر التغير الاجتماعي قضية مركبة وليست بسيطة، عالمية وليست إقليمية، ومن ثم فهي تتطلب وعيا مركبا بمستواها، " وهذا الوعي المركب لا يكون بحجمه المركب إلا منهجيا، بحيث يأخذ بأبعاد الظلمات كلها: الظلمات الحضارية والعلمية على مستوى التنظير والتطبيق بشكل ينفذ عميقا إلى فهم خصائص الواقع المتغير، والعوامل الفاعلة في تغييره، والمحدثة لانحرافاته، أو أزماته، وذلك بغية معالجتها بمنهج كلي بعيد عن الأحادية والجزئية والحدودية والقصور..." (العلواني في الشرق الأوسط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع٦٥٥٢).

وهذا يجعلنا ندرك أن العوامل الفاعلة في التغير والتطور الاجتماعي في المجتمع المسلم، ليست مجرد عوامل محلية؛ بل هي جزء وانعكاس لما يحدث في العالم بحكم

(١) انظر في ذلك: (ندوة ارتفاع المهور في مجلة المرأة العربية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ص٩٠-٩١، عرابي في المستقبل العربي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ع١٣٦، ص ٥٠-٥١).

التداخل الشامل بين مختلف الأمم والشعوب، نتيجة لثورة المواصلات والاتصالات المعاصرة. واستيعاب هذه العوامل المؤثرة عالميا والواردة إلينا عبر تداخلنا مع أنساق الحضارات الأخرى، ومناهج العلوم المختلفة يعتبر من المداخل الضرورية في فهمنا لما يحدث في واقعنا نفسه. (العلواني في الشرق الأوسط، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م، ع٦٥٥٢).

وحيث إن التغيرات التي طرأت على وضع المرأة المسلمة المعاصرة، قد ارتبطت منذ بدايتها بالتغيرات التي طرأت على وضع المرأة الغربية؛ فإننا سوف ننطلق في دراستنا من خلال الحديث عن حركة تحرير المرأة الغربية، لننطلق من ذلك إلى التعرف على الأسس التي وجهت حركة تحرير المرأة المسلمة المعاصرة، وما تبع ذلك من نتائج.

ثانيا: حركة تحرير المرأة الغربية:

لازم بداية العصور الحديثة في أوروبا، خوف شديد من الشيطان، وعدت المرأة من عملائه حتى من قبل الحكام العلمانيين، ورجال الكنيسة. وقد كانت المرأة في أوروبا، ومنذ أقدم العصور، موضع تبجيل واحترام الرجل، ولكن فيما بعد؛ وتحديدا فيما بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر برز الموقف العدائي من المرأة، وهو عكس ما دعت إليه المسيحية الصحيحة من مساواة بين النوعين، حيث أخذ المسيحيون ينظرون إلى المرأة نظرة دونية، ويعتبرونها أقل كمالا من الرجل، مما يستدعي جعلها دوما تحت وصايته. (ديلومو،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص ٥-١٨).

بل إن كلمة " Femina " أي المرأة، قد ركبت من " Fe " و " Minus "، أي ما معناه: إيمان أقل. (ديلومو،١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٣٤).

وقد تراكمت مخلفات اضطهاد المرأة على مر السنين، مما أدى في النهاية إلى التذمر ثم التمرد فالثورة التي أسهمت الحروب المتلاحقة في حدوثها. وقد تزامن كل ذلك مع حدوث الثورة الصناعية في البلدان الغربية، فحدث هناك توافق بين رغبات المرأة المندفعة خارج المنزل، ومتطلبات رجال الأعمال، وأصحاب المصانع، من الأيدي العاملة الرخيصة. (حركة المرأة الغربية في صحيفة العالم الإسلامي، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٣٩١).

ومع بداية حركة التحرير لم يكن الأمر يتعدى مبدأي الحرية والمساواة، حيث اعتبر الرواد في المطالبة بتحرير المرأة أن ذلك مكمل لحركة حقوق الإنسان التي تصدرت في

أوروبا منذ القرن السابع عشر، إلا أن حركة تحرير المرأة قد جاءت على عجل منع الرواد من التفكير في النظام الأسري ودور المرأة فيه؛ لذلك جاءت نتائجها تحمل من الإيجابيات ما رفع مجموعة من المظالم عن المرأة، إلى جانب السلبيات التي ألحقت المتاعب بالبشرية جمعاء. (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٢٠٠-٢٠١).

فهذه الحركة حين طالبت بالحرية والمساواة للمرأة، قد غفلت عن أمور أخرى مهمة بالنسبة لها وهذه الأمور تجعل من المهم النظر إلى الحقوق بعين التكافؤ لا بعين التشابه، وكان من أسباب هذا الإغفال الارتجال والعجلة اللذين أشرنا إليهما سابقا ، إلى جانب أطماع الرأسماليين في استغلال طاقة المرأة ماديا والترويج لبضائعهم من خلال جمال وجاذبية المرأة، مما جعلهم يسبغون على هذه المطالب طابعا قانونيا. (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص٩- ١٤).

وهكذا أخرجت المرأة إلى العمل بحجة الحرية والمساواة؛ وساعد على إخراجها أمور أخرى، أهمها الظلم الذي كان يحيق بعمال المصانع، والذي جعلهم يثورون على تشغيلهم لفترات طويلة بأجور قليلة، مما ألجأ أصحابها إلى مكايدة العمال من خلال تشغيل النساء لنفس الساعات، وبأجور أقل. (المطهري، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص١٤).

وقد كانت حاجة النساء إلى العمل هي الدافع إلى رضاهن بتدني أجورهن، بسبب فقدان كثير من الرجال في الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م / ١٣٣٧ هـ، ومن هنا بدأت المرأة تطالب بالمساواة في الأجور، وتطور الأمر إلى طلب المساواة الكاملة المطلقة في جميع الشئون بلا استثناء. وكان مبرر الرجل في تصرفه إزاء العاملات أن الدين والأخلاق والتقاليد قد جعلته في مرتبة أعلى، مما دفع المرأة إلى التحلل من الدين والأخلاق والتقاليد؛ فراحت تطالب بالمساواة في نظم التعليم، ثم بالتعليم المشترك، ثم بكل الوظائف، ثم بالتحرر من الأخلاق[1]. وثار الرجل في البداية ثم رضي حين وجد أن الأمر مربحا له، من حيث إن عمل المرأة يخفف عليه النفقات، وسمي ذلك بتحرر المرأة، ورفعها إلى مستوى الإنسانية. (محمد قطب، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ص ٤٣-٤٧).

(١) في مؤتمر بكين قامت الشاذات بتنظيم مظاهرات وجدت تأييدا شديدا، حيث طالبن بالنشاط العلني، والزواج في الكنائس، وأخذ حقهن في الدعاية والنشاط الكامل دون حرج، وقد تم كل ذلك تحت رعاية الأمم المتحدة، التي منعت الصين من التعرض لأية أنشطة متعلقة بهن. (لقاء مع مؤسسات .. في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م،ع ٥٥٩).

وقد صدر إعلان الأمم المتحدة الأول للمساواة بين الرجل والمرأة عام ١٩٤٥م / ١٣٦٥هـ، ولكن وبسبب استمرار المكانة غير المتساوية للمرأة، [١] فقد أدى ذلك وبعد ثلاثين عاما إلى إعلان عام ١٩٧٥م / ١٣٩٥ هـ ليكون عاما دوليا للمرأة. ولأول مرة في التاريخ [٢] تركزت أنظار العالم على النصف الثاني من سكانه الذي يقوم بثلثي أعماله ويتحصل على عشر دخله، ويملك أقل من ١٪ من ممتلكاته. وفي ذلك العام أعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة السنوات من ١٩٧٦م- ١٩٨٥م /١٣٩٦ – ١٤٠٥ هـ لتكون عقد الأمم المتحدة للمرأة. ومع نهاية العقد، عقد مؤتمر نيروبي للمرأة في يوليو ١٩٨٥م / ١٤٠٥ هـ، واشتركت فيه ١٤٠ دولة، وصدرت عن المؤتمر استراتيجيات نيروبي المستقبلية لتقدم المرأة حتى عام ٢٠٠٠. وقد تأسست هذه الإستراتيجيات على أهداف عقد الأمم المتحدة للمرأة، وهي تقدم إطارا للعمل على المستوى القومي والإقليمي للدعوة من أجل مزيد من الفرص والمساواة للمرأة. (فيرتراجايت، ١٤١٥هـ / ١٩٨٥م، ص ١، (The State Of the world's woman, 1985, p3) .

ونجد أنه قد أقرت حتى الآن ١٧٢ اتفاقية و ١٧٩ توصية، كلها صدرت عن منظمة العمل الدولية منذ إنشائها عام ١٩١٩م / ١٣٣٨ هـ حتى الآن، ويتضمن الكثير منها أحكاما تتعلق بلزوم مراعاة المساواة في المعاملة والاستخدام والتدريب بين الجنسين، مع مراعاة تخصيص ساعات عمل المرأة في ظروف معينة، وتأمين متطلبات الصحة والسلامة، وتوفير خدمات وتسهيلات لذوات المسئوليات العائلية.(ندوة المرأة والاستخدام،١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص٧).

ورغم كل ذلك، نجد المرأة الغربية مازالت حتى اليوم تعاني من انعدام المساواة بينها وبين الرجل.

---

(١) أطلقت حركة تحرير النساء في أمريكا شعار (المرأة سوداء بالنسبة للرجل الأبيض) في نفس فترة كفاح الأمريكيين السود. (بيضون، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٧)، كما أعلن مبدأ (أجر واحد للعمل الواحد بين الجنسين) في فرنسا عام ١٩٤٦م / ١٣٦٦ هـ لكنه لم يطبق أبدا. (جارودي وآخرون، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص٥٣)، ونجد أن أجر المرأة في فرنسا مازال حتى اليوم أقل من الرجل بـ ١٤٪ في القطاع الخاص و ١٨٪ في القطاع العام. (صحيفة الاتحاد، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٧٣٠٨).

(٢) التاريخ الغربي وليس الإسلامي بالطبع.

ثالثا: حركة تحرير المرأة المسلمة:

سارت حركة تحرير المرأة المسلمة في تبعية عمياء لحركة تحرير المرأة الغربية، وقد بدأت النواة الأولى لحركة التحرير في صالون الأميرة نازلي فاضل، التي ضمت إليها بعض من أسهموا فيما بعد بالدعوة إلى تحرير المرأة، وكانت القذيفة الأولى عبارة عن كتاب ألفه المسيحي المتعصب، مرقص فهمي المحامي بعنوان (المرأة في الشرق)؛ دعا فيه إلى خمسة أهداف:

١-القضاء على الحجاب الإسلامي.

٢-إباحة الاختلاط للمرأة المسلمة بالأجانب عنها.

٣-تقييد الطلاق، ووجوب وقوعه أمام القاضي.

٤-منع الزواج بأكثر من واحدة.

٥-إباحة الزواج بين المسلمات والأقباط.

(عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٣-١٤).

وقد أحدث هذا الكتاب ضجة عنيفة، ظهر خلالها كتاب آخر، ألفه الكونت داركور، والذي حمل في كتابه " على نساء مصر وعلى الإسلام، وهاجم الحجاب الإسلامي، وقرار المرأة المسلمة في البيت، واقتصار وظيفتها على تربية النشء ورعاية الزوج، كما هاجم (المثقفين) من أبناء مصر على سكوتهم ..." (عبد الوهاب،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٤- ١٥).

وهنا انبرى قاسم أمين – أحد رواد صالون نازلي – للرد عليه، مبينا فضائل الإسلام، مستنكرا تشبه بعض المسلمات بالأوروبيات[1]، مما أغضب الأميرة، فعاد ليصلح خطأه بكتاب آخر ألفه عن (تحرير المرأة)؛ الذي دعا فيه إلى ما دعا إليه مرقص فهمي، عدا زواج المسلمات بالأقباط. (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ص١٥).

ومما يدل على أن للمستعمرين وأعداء الإسلام دور كبير في هذه الدعوة ، أن قاسم أمين قد ألف كتابه الآخر بعد عودته من فرنسا (محمد قطب ١٤١٠هـ / ١٩٩٠ م،

(١) ألف قاسم أمين كتابه الأول في وقت كان فيه على خلاف مع نازلي (عبد الوهاب،١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص١٥).

obeikandl.com

ص١٧). وقد ذاع خبر هذا الكتاب في أرجاء الهند، واهتم الإنجليز بترجمته إلى الإنجليزية، ونشر أفكاره هناك. (عبد الوهاب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٧).

ثم تبنت القضية مجموعة من النسوة، على رأسهن هدى شعراوي؛ التي سافرت محجبة لتتعلم في فرنسا، ثم عادت سافرة، يعاونها بعض الرجال والنساء، المدافعين عن قضية المرأة عبر وسائط الثقافة المختلفة، وأصبح السفور هو أول القضايا التي نادين بها، وصارت القضية التي يدور حولها الجدل هي السفور والحجاب.(محمد قطب ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١٥، ص ٢١-٢٢).

وقد استفاد دعاة تحرير المرأة المسلمة كثيرا من الوضع الجاهلي الذي كان يسود المجتمع الإسلامي تجاه المرأة وتعليمها، واتخذوا منه منفذا لما يريدون، حيث كان المجتمع الإسلامي بعيدا عن هدي الإسلام في معاملة المرأة. إلا أنهم حين استغلوا هذا الوضع، لم يكن همهم الأول رفع الظلم عن المرأة، بل تحطيم الإسلام، وإخراج المرأة لإفساد المجتمع الإسلامي خلقيا، على غرار ما حدث في الغرب. (محمد قطب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ٢٨-٢٩).

وتؤكد نوال السعداوي حقيقة انعدام الاهتمام لدى دعاة التحرير برفع الظلم عن المرأة المسلمة، بإشارتها إلى أن أول تنظيم نسائي قد تكون عام ١٩٢٣م / ١٣٤٢ هـ من قبل نساء الطبقة الراقية اللاتي لم يكن " بحكم الثراء والانعزال عن الطبقات الفقيرة يدركن شيئا عن حال هؤلاء النساء العاملات، ولم يكن لديهن أدنى اهتمام بقضاياهن، بل كان كل اهتمامهن موجه إلى خلع الحجاب؛ لذا فإن الحركة النسائية لم تعبر عن مشاكل أغلبية النساء، وانتهى بها الأمر إلى التعاون مع الحكام، وخدمة الأحزاب الحاكمة. (السعداوي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٨١٠-٨١١).

ويشير محمد قطب إلى أن حركة تحرير المرأة الغربية قد كان لها أسبابها؛ حيث كان للمرأة الغربية فعلا قضية؛ تتمثل في المساواة في الأجر مع الرجل، ثم اتسعت وتعددت مجالاتها؛ لتصبح المساواة التامة في كل شيء، حتى في الفساد. أما المرأة المسلمة؛ فلم تكن لها قضية خاصة بها، بل إن القضية الحقيقية تتمثل في التخلف العقدي، الذي أصاب المجتمع الإسلامي، والذي انعكس أثره على جميع مجالات الحياة، ومن بينها المرأة. وقد كان من المفترض معالجة هذا التخلف بالعودة إلى الإسلام على حقيقته. لكن المنادين

بتحرير المرأة، لم يكونوا في كامل وعيهم ليناقشوا القضية مناقشة علمية موضوعية، حيث كانوا عبيدا لشهواتهم، أو عبيدا للغرب، يعملون في غفلة على تنفيذ مخططاته رجالا ونساء، ولأنه لابد للقضية من موضوع، فقد جعلت القضية فجأة وبلا مقدمات حقيقية؛ قضية الحجاب والسفور. (محمد قطب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١٦-١٨).

وما من شك في انعدام المنطق في هذه القضية؛ لأن الحجاب قد فرض من قبل الخالق وليس من قبل البشر حتى تثور عليه حركة تحرير المرأة، إلى جانب أنه لا يشكل في ذاته أية قضية، حيث ارتدته المرأة عبر التاريخ الإسلامي ولم يدع أحد أنها كانت مظلومة بسببه، وإنما وقع الظلم عليها بسبب التخلف العام للمسلمين. لكن أحدا لم يلتفت إلى المنهج الصحيح في معالجة أوضاع المجتمع الخاطئة، وظل الخيار إما الإبقاء على ما هو سائد أو استبداله بالبديل الغربي. (محمد قطب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ١٩-٢٠، ص ٢٩).

وقد تركزت الجهود على إفساد المجتمع المصري أولا، ثم تصدير الفساد إلى باقي المجتمع الإسلامي، واستخدمت في سبيل ذلك جميع الوسائل الممكنة، وعملت وسائط الثقافة المختلفة على إمداد القضية بالوقود اللازم من أجل إبقائها حية في الأذهان حتى يتحقق المطلوب؛ ولذا فقد انصب الهجوم في البداية على التقاليد الجاهلية المخالفة للإسلام، ثم أدخلت التقاليد الإسلامية الحقيقية التي قررها الله ورسولهﷺ؛ لتوصم بأنها "(بالية) ومن (تراث العصور الوسطى المظلمة) التي ينبغي أن تمحى من الوجود في العصر الحديث.. عصر النور.. والتحرر.. والانطلاق.."(محمد قطب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ٣٢، ص٦٥-٧٣).

وكانت **أبرز التقاليد** التي هاجموها:

١- حرمان المرأة من التعليـم.

٢- تهوين شأنها واحتقارها وتعييرها بأنها تحمل وتلد ولا شأن لها بشيء آخر.

٣- تزويجهـا بـدون إذنهـا.

٤- حجابها واستقرارها في البيت.

(محمد قطب ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ص ٧٤).

وكما هو واضح؛ فإن الثلاثة الأولى هي فعلا من التقاليد الفاسدة التي ليست من

الإسلام في شيء ، في حين أن الرابع هو أمر صريح من قبل الخالق؛ لأمهات المؤمنين ولنسائهم كافة.

فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب-٣٣] ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب] .

ولكن رواد حركة التحرير لم تكن لديهم القدرة على – أو لم يكن يراد منهم – إدراك حقيقة القضية، والسبيل الصحيح لعلاجها؛ ولهذا سارت الحركة منذ البداية مع حركة التغيير الاجتماعية في مختلف الميادين، في اتجاهها نحو الشرق أو الغرب، إلا أنها لم تستطع أن تحقق ما ترجوه من المرأة. (فرج، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ص ١٢١-١٢٢). ومع ذلك نجد المرأة المسلمة المعاصرة تتشدق بالحرية التي نالتها في جميع المجالات، رغم أن الواقع يكذب ذلك، حيث نراها – كما تقول نازك الملائكة- ما زالت تحيا بعواطفها وغرائزها، بعيدا عما وهبها الله من عقل وذكاء، ولا نجد فيها أكثر من " دمية مثلها الأعلى الأناقة المسرفة، التي جعلتها تمجد عطاء المجتمع وتمجد ذاتها" (الملائكة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٥).

لقد أساءت المرأة المسلمة المعاصرة – في انجرافها وراء فكرة التحرير – فهم المعنى الصحيح للحرية، والذي توضحه نازك الملائكة على أنه يعني " سقوط القيود والأغلال عن الذهن الإنساني، بحيث يقوى على فرض نظرة جديدة أصيلة إلى الأشياء كلها، ويستطيع أن يغيرها وفق حاجاته الروحية . فإذا وجد خطأ أو قبحا أو ضررا، استطاع أن يحتج عليه، ويرفضه ويغيره إلى ما ينفع الحياة الإنسانية ويخصبها ويجملها. " (الملائكة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ٢٤).

والحركات النسائية الغربية في دعوتها إلى تحرير المرأة ، قد دعت دون أن تدري؛ إلى مزيد من افتراس الرجل للمرأة واستعباده لها، وتبعتها في ذلك الحركة النسائية في العالم الإسلامي؛ التي بلغت مداها في ظهور السافرات من زعيماتها في وسائل الإعلام وفي الشوارع ينادين بمزيد من (الحرية للمرأة) . بل وصل بها الحال إلى تشجيع كل ما يساعد على تحرر المرأة وفجورها؛ كالفنون الداعرة من باليه، ورقص، ومسابقات جمال؛ والتي تظهر فيها المسلمات شبه عاريات يفحصهن الرجال، بل وأكثر من ذلك؛ حيث استرجلت

المرأة وارتدت ملابس الجيش والمصنع. (جميلة، د.ت، ص ١٧).

فالمرأة المسلمة المعاصرة – إلا من رحم الله – قد اندفعت في تقليد المرأة الغربية ظاهرا وباطنا؛ في زيها وأفكارها، فراحت تطالب مثلها بالمساواة.

لقد وجدت دعوى الآخرين بظلم الإسلام للمرأة صداها في نفوس عدد غير قليل من مسلمات هذا العصر، ممن تعطلت لديهن القدرة على استيعاب عظمة المبادئ والآداب التي جاء بها الإسلام، فرحن يرددن كثيرا مما ترسب في أذهانهن من الدعايات التي يروجها الغرب، ويطالبن بما تطالب به النساء الغربيات.

ونجد الغرب – كما أشرنا سابقا – يغذي ذلك ويروج له ويهاجم الإسلام بكل السبل، وخاصة من خلال المؤتمرات والملتقيات التي تدور حول المرأة والتي يراد من خلالها فرض التوجهات الغربية للحركة النسائية الغربية على جميع نساء العالم، بما في ذلك العالم الإسلامي، ومن أبرز الأمثلة على ذلك؛ أنه في مؤتمر بكين عقدت العديد من الاجتماعات لرفض الإسلام الذي يقيد حرية المرأة، وكانت المسلمات العلمانيات؛ هن الأشد هجوما على الإسلام من غيرهن [1] (لقاء مع مؤسسات.. في المسلمون، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٥٩)، وقد اندفعن في مجاراة المعادين للإسلام، والمهاجمين لنظمه إلى درجة أن البعض منهن قد طالبن بتغيير قانون الإرث بحجة أنه يشكل أحد أكبر الحواجز الاقتصادية في طريق المرأة (وفود الدول الإسلامية الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٢٩)، بل قد وصل الاندفاع في المطالبة بالمساواة، إلى درجة أن إحدى المسلمات

(١) اتهمت العلمانيات المصريات، عضوات الوفود الإسلامية بالإساءة إلى صورة مصر في معارضتهن لما لا يتفق مع وجهة نظر الإسلام، وقد رفضن التنسيق مع لجنة المرأة المسلمة في المؤتمر الرابع للمرأة ببكين. (قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٩) وتقول الباحثة منى يونس، وهي إحدى المسلمات المشاركات في مؤتمر بكين: " لقد اكتشفنا تيارات علمانية لم نعرفها من قبل؛ مثل منظمة المرأة في المنفى، وهن مجموعة نسوة من عدة دول إسلامية، وهن شديدات الكره للإسلام، ويحملن لواء تشويهه، وقد كن أشرس تيار واجهنا، ولسن صاحبات فكر مستنير ولا يقبلن الرأي الآخر، ولا يسمحن بالرد على افتراءاتهن، واستعملن الأيدي لمنعنا من الاشتراك في ندواتهن. وكن يعلن ارتدادهن عن الإسلام، ويحضرن ندواتنا للشوشرة علينا). ومن أساليبهن: " القذف والسب بألفاظ بذيئة جدا، واستعمال الأيدي، والسخرية من الحجاب، ومن الآيات القرآنية ، والدعاية المشوهة للإسلام، وكن يقمن بإلصاق صور القتلى والموتى المشوهين من الحرق على ظهورهن ويكتبن تحتها هذا هو الإسلام، وقد ادعين أن الإسلام أباح زواج المتعة واغتصاب الفتيات. (لقاء مع مؤسسات.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٥٥٩).

المثقفات وهي الكاتبة البنغلاديشية نسرين ، قد طالبت بتعديل القرآن الكريم [1] . وكل ذلك إنما يشير إلى غياب علاقة العدل والإحسان والذي أدى إلى ظلم المجتمع الإسلامي للمرأة، وظلم المرأة المسلمة المعاصرة لنفسها؛ حيث عجزت عن التفريق بين حقيقة تعاليم دينها التي كفلت لها المساواة التامة، وبين سوء التطبيق من قبل المجتمع الذي حرمها حقوقها. وعلى الرغم من أن هؤلاء النساء لا يمثلن سوى أقلية صغيرة من النساء – كما أشارت إلى ذلك المغربية حليمة نزيه، عضو الاتحاد الوطني للمرأة– إلا أن الأمر يحتاج إلى تأكيد نظرة الإسلام، وتوعية المجتمع الإسلامي والدولي بها ليدرك العالم عظمة المكانة التي حظيت بها المرأة في ظل الإسلام.

لكننا نجد أن طابع التبعية الغالب على المسلمين أبى إلا أن يفرض نفسه على المرأة والمنادين بتحريرها، فوجدنا أنه وحتى هذا اليوم الذي أخذ عقلاء الغرب يحاولون فيه إسدال الستار على الأفكار الخاطئة التي روجوها بدعوى التحرير والمساواة؛ إلا أن مقلديهم لدينا ما زالوا ساعين في تقليدهم [2].

رابعا: دور التربية في تحرير المرأة المسلمة المعاصرة:

إن دور التربية يكمن في ترشيد حركة تحرير المرأة المسلمة المعاصرة وتوجيهها الاتجاه الصحيح الذي يعود بوضع المسلمة إلى الحرية الحقيقية التي تمتعت بها في ظل الإسلام منذ أربعة عشر قرنا، والتي حرمت منها في ظل الأوضاع الاجتماعية الظالمة التي سادت في عصور الركود والتقليد التي شملت كافة جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي.

فمن خلال التربية؛ ينبغي الإسهام في تغيير الواقع الحالي المتخلف للمرأة المسلمة المعاصرة، بحيث تحافظ في الوقت نفسه على خصائص ومقومات المجتمع الإسلامي، وبذلك تجمع في إعدادها للمرأة المسلمة المعاصرة بين الأصالة والمعاصرة.

---

(١) انظر ص ٢٨٦، ٢٨٧.

(٢) نشرت مجلة (مختارات للقراء) العدد ٧٩ سنة ٣٤ يونيو ١٩٧٤ قصصا عن انطباعات العاملات في المجتمع الأمريكي. من ذلك ما قالته إحداهن من أن قانون العمل كان لا يجيز أن تحمل المرأة خلال عملها ثقلا يزيد عن ٢٥ رطلا، لكن في شركة جنرال موتورز أصبحت المرأة تحمل ما هو أكثر. وأخرى صرحت: إننا نريد العودة إلى السابق، وأن يعاملنا الرجال كنساء لا كعمال. أما أنصار تحرير المرأة، فإنهم لا يعرفون العمل في المعمل ويجهلون الشقاء الذي نعانيه. إنني لا أريد هذه المساواة.(حركة المرأة الغربية في صحيفة العالم الإسلامي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٣٩١).

ويشير الجابري إلى التغيير باعتباره قضية مستقبل، فيقول في ذلك ما نصه:

" إن دراسة التغيير استشراف للمستقبل، والولوج في عملية التغيير بناء للمستقبل، إلا أن الغاية من التغيير هي عنصر الاختلاف بين المدارس الداعية إلى التغريب، والأخرى الداعية إلى الأصالة.

فالغاية من التغيير عند مدارس التغريب هي وصول الشعوب العربية إلى مستوى حضاري يوازي مستوى الغرب عن طريق تقليد خطواته والالتزام بتشريعه، والالتقاء معه على أهداف الحياة: الرفاهية والتعلم والأمن.

والغاية من التغيير عند المدارس الإسلامية ؛ إحياء الوجود الإسلامي بالعودة إلى أصول الإسلام ثم الانطلاق ضمن ضوابطه في إعادة البناء تحت ظلال المعاني التالية:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال]، وقوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل]. وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنعام]. (الجابري، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ص ٣٤).

فينبغي على التربية أن تعمل على غرس الإيمان الصحيح في نفس المرأة المسلمة المعاصرة حتى تكسبها المقاومة التي تقيها من الذوبان والانهزام أمام أفكار الآخرين؛ لتشعر بالغنى النفسي الذي يمنعها من الاقتراض من الآخرين في عالم القيم والمبادئ، وفي ذلك يقول محمد قطب:

" والغنى النفسي الذي يحدثه الإيمان الحق بالله، والغنى الواقعي الذي يحدثه التطبيق الصحيح للمنهج الرباني؛ يجعل المسلم فردا وجماعة، ومجتمعا ودولة، في غنى عن الاقتراض في عالم القيم والمبادئ، - فضلا عن التسول! - واذا احتاج لشيء من أمور الدنيا يفتقده عنده، فإنه يأخذه في استعلاء المؤمن، ويطوعه لمنهجه الرباني، ويصبح مالكا له لا مملوكا له " (محمد قطب، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٥٣).

ونجد آيات القرآن الكريم تؤكد على أن التغيير لا يعني الانقطاع عن الماضي، بل هو

"اتصال مستمر متفاعل معه لأن حاضر الإنسان يشكل أصوله دائما، ماضيه في حلقاته المتصلة." (محسن عبد الحميد، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٩)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١] .

فالتربية الإسلامية تحدد المسارات العامة للتغير؛ ثم تترك المجال لحركة الحياة وللإنسان ليسيرا ضمن قوانين حركة المجتمع التي أودعها الله في الوجود كله.

لذا فإن التطور الصحيح في المجتمع الإسلامي ينبغي أن يكون نموا طبيعيا للظواهر الاجتماعية في إطار الفطرة السليمة، بحيث يكون التغيير دوما نحو الأصلح والأرقى (عبد المجيد، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، ص ٧٦).

ومن ثم فإن التطور المنحرف الذي يتجه نحو الأردأ ليس من الإسلام في شيء؛ لأن الإسلام يحرص على أن يسير الإنسان في شئونه كلها متجها نحو خالقه، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام].

فلابد أن تعمل المؤسسات التربوية ومن خلال جميع قنواتها على التنبيه إلى الانحراف الذي سار عليه تطور وضع المرأة المسلمة في الوقت الحاضر، والذي جرفها بعيدا عن أصالتها، وتوضيح السبب الأساسي الذي يقف وراء هذا الانحراف، والمتمثل في الجهل بالإسلام من قبل المرأة، ومن قبل المجتمع الجاهلي المعاصر، حتى أصبحت المرأة فريسة سهلة لتعليمات جهلة الشرق والغرب من مدعي العلم.

ونجد التوجيهات النبوية الكريمة قد حذرت من أمثال هؤلاء، حيث يقول ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: " إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا. " (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، العلم/ ٣٥، ص ٣٤).

وهذا ما حدث للمرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - التي أعرضت عن كتاب ربها وسنة نبيها، وحكمة علماء دينها، إلى أقوال دعاة الانحراف، والانجراف وراء

التقليد الأعمى للغرب. ومن ثم هبطت عن المستوى التكريمي اللائق بها إلى الحال الذي تنبأ به الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه من أنه قال: (كيف بكم إذا طغى نساؤكم وفسق شبابكم وتركتم جهادكم. قالوا وإن ذلك لكائن يا رسول الله؟.. قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون كيف أنتم إذا لم تأمروا بمعروف ولم تنهوا عن منكر؟ قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟، قال: نعم. والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا: وما أشد منه، قال: كيف إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا، قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. قالوا وما أشد منه؟ قال: كيف أنتم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف، قالوا: وكائن ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، والذي نفسي بيده وأشد منه سيكون. يقول الله تعالى في الحديث القدسي: (بي حلفت، لأتيحن لهم فتنة يصير الحليم فيها حيرانا) [1].

يقول الإمام البنا في تعليقه على هذا الحديث:

" سلسلة متصلة من الحلقات، تطغى المرأة، فيتبعها فجور الشباب، ويغفل كل عن واجبه ويصير من الغريب أن تخرج المرأة محتشمة متسترة، ويترتب على ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يتدرج الأمر إلى أن يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا، ثم تكون الفتنة التي تجعل الحليم في الأمة حيرانا، لا يدري ماذا يصنع؟

وأول ما يفسد الأمة، المدنية المزيفة، المدنية الأوربية التي تدور حول تمتع المرأة وإرضاء المرأة، وأصبحنا نقلدهم في كل ما هو ضار.. ". (البنا، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠م، ص٧٢).

كذلك ينبغي توجيه انتباه المرأة المسلمة المعاصرة إلى النزعة المادية التي تقف وراء حركة تحرير المرأة الغربية، والتي أوصلت المجتمع الغربي إلى الطغيان في الانحراف، والذي تبدو مظاهره في كثير من الأمور، من بينها إباحة الإجهاض، والتجربة قبل الزواج، وتبادل الزوجات والصديقات، والإنجاب من غير أب عن طريق التلقيح

(١) هذا هو النص الذي أورده البنا. أما النص الذي وجدته الباحثة للحديث فهو " كيف بكم أيها النا س إذا طغى نساؤكم، وفسق فتيانكم؟ قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: نعم، وأشد منه، كيف بكم إذا تركتم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قالوا: يا رسول الله إن هذا لكائن؟ قال: نعم، وأشد منه، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكرا والمنكر معروفا ؟ "(أبو يعلى، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م، ج ٦ رقم ٦٣٨٩، ص ٥٠).

الـصناعي، وممارسـة البغـاء في شـتى صـوره ، وغـير ذلـك مـن المظـاهر المنافيـة للقـيم والأخلاق، والتي لم يكتف الغربيون بأن تردوا إليها، بل زادوا على ذلك بالعمل الجاد من أجل تصدير أنماطهم الحياتية إلى المجتمعات الأخرى.

وقد أشار إلى ذلك البيان الصادر من مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي الرابع للمرأة ببكين، الذي جاء فيه أن المؤتمر حلقة من سلسلة حلقات (ترمي) إلى " ابتداع نمط جديد من الحياة يتعارض مع القيم الدينية، ويحطم الحواجز الأخلاقية والتقاليد الراسخة، دون التفات إلى أن هذه القيم والحواجز والتقاليد هي التي حمت شعوبا ودولا كثيرة من التردي في هوة الفساد الجنسي والسقوط في حومة الاضطراب النفسي ومستنقع الانحلال الخلقي. " (بيان مجمع البحوث.. في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ١٨).

وقد أصـبح هنـاك الآن كثـير مـن المفكـرين الغـربيين الـذين ينتقـدون بـشدة هـذه التوجهات المنافية للقيم والتقاليد الراسخة، ومن بينهم مستشار الأمن القومي الأمريكـي الأسبق بريجنسكي الذي قال في كتابه (Out of control)، ما نصه: (... المجتمـع الـذي يسمح فيه بكل شيء، ويمكن الحـصول فيـه عـلى كـل شيء، هـو مجتمـع انحـط مـستواه الأخلاقي وانصب جهد الإنسان فيه على تلبية رغباته وإرضاء شهواته.

(التغريب القسري.. في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٣٠٠، ص ٤).

ويتناول المؤرخ المشهور آرثر شيلزنجر في كتابه (الولايـات الأمريكيـة غـير المتحـدة States of America Disunited) مظاهر فشل التجربـة الأمريكيـة في صـهر العنـاصر الثقافية المتعددة، فكان مما قاله فيه: ".. وإن التطرف في فرض قيم الغـرب بغثهـا وثمينهـا لابـد وأن يـؤدي إلى تطـرف في لفظهـا. إن الغـرب لا يـدرك أنـه لا يـستطيع إخـضاع المجتمعات في المجال الثقـافي والاجتماعـي كـما يفعـل في المجـال الـسياسي والاقتـصادي والعسكري؛ لأن ذلك يتعلق بالشعوب وليس بالحكومات الموالية." (التغريب القسري.. في قضايا دولية، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م،ع ٣٠٠، ص ٤).

فينبغـي العمـل مـن خـلال التربيـة عـلى إفـساد المخططـات الغربيـة للمجتمعـات الإسلامية، بحيث ينبـه أفرادهـا – ذكـورا وإناثـا – إلى الأسـباب التـي تقـف وراء هـذه التوجهات للمجتمعات الغربية، والتي تتمثل في اعتقاد الغربيين بأن القيم الإسلامية قـيم

بالية لم تعد تتماشى مع العصر.

وإلى ذلك يشير هوفمان بقوله:

" ومن البديهي.. أن يكون المخطط الإسلامي لفلسفة الحياة، والذي يفرض نفسه بديلا قادما من بيئة مخالفة، مواجهة حقيقية تصدم الفلسفة العصرية الغربية، وجهلها بالقيم، وإباحيتها المطلقة لكل شيء، حسب التعبير الأمريكي " لا شيء ممنوع ". هذه المدنية العصرية الغربية تصطدم بالمخطط الإسلامي المضاد الجاد، الذي يراه البعض عتيقا باليا لا لشيء سوى لقيام صرحه واستمراره، غير مرتبط بعنصر الزمان؛ بمعنى صلاحيته لكل العصور. " (هوفمان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ٢٠٦).

ولابد من الاهتمام في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة بإكسابها المهارات التي تمكنها من أخذ زمام المبادرة في معالجة قضاياها بنفسها، وذلك لأن المنظمات الدولية قد ظلت ولفترة طويلة؛ هي المحددة لمشكلات النساء المسلمات وأولوياتها، دون أن تأخذ اعتراضات المسلمات على ذلك بعين الاعتبار، بل زادت فاتخذت من بين المسلمات من يتحدثن باسم الإسلام في حين أنهن لا يعرفن منه إلا اسمه، ويعملن جاهدات من أجل تحقيق أهداف المنظمات التي يتبعنها والتي أغدقت عليهن الأموال والجوائز.

وكما أشرنا سابقا، فإن التقصير في ذلك قد عاد على وضع المرأة المسلمة بأسوأ النتائج، وتصويب الوضع يحتاج إلى توجيه جميع طاقات المرأة بما يمكنها من الإسهام في إسماع صوتها للعالم كله، وتوضيح المكانة العالية التي تتمتع بها في ظل الإسلام، والعمل على تصحيح ما يمس وضعها من أخطاء؛ لتعود بأمتها إلى الوضع الذي يجب أن تكون عليه ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠].

خامسا: أثر التغير الاجتماعي على الأسرة المسلمة المعاصرة:

يظهر واقع المجتمع الإسلامي بصورة لاشك فيها؛ أن تغيرات كثيرة قد طرأت على كيان الاسرة المسلمة، لكن مما يؤسف له أنه لا توجد هناك دراسات توفر معلومات دقيقة عن التغيرات الحقيقية التي حدثت للأسرة في إطار التحولات الاجتماعية المتعددة. وما يوجد منها في هذا الجانب يغلب عليه الطابع الأجنبي؛ حيث انطلق الباحثون فيه من إطار فكري غربي في فهمهم لمعنى العائلة ودلالات التطور.(سعاد إسماعيل في مجلة المرأة العربية، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م، ع٨، ص١١).

لقد أدى التطور الرأسمالي إلى تفكك العائلة التقليدية، ورافق ذلك تغير في هندسة البناء ونمط السكن، حيث حلت الشقق الطابقية محل البيوت الكبيرة، وفقدت الجيرة حرارة التواصل، وكان هذا التطور بتأثير الغرب على مبدأ الأخذ بالأسوأ وترك الأفضل إلى جانب الاستجابة للحاجات السكنية الملحة للأسر الصغيرة.(ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١١٤).

وتشير إفلين ريد إلى الأسباب التي تدفع بالرأسماليين إلى امتداح هذا النوع من الأسر والذي يطلق عليه مصطلح (أسرة نووية)؛ وهو أنها – الأسرة النووية – تعتبر زبونا لتجار المفرق بدءا من تجار العقارات وانتهاء بتجار مساحيق التنظيف ومستحضرات التجميل؛ لذلك فإن المصانع أصبحت تنتج سيارات صغيرة للأفراد بدلا من السيارات الكبيرة المشتركة، وأصحاب البناء يشيدون البيوت الصغيرة والمجهزة بجميع الأدوات، والجميع يربح من وراء ذلك ما لم يكن ليتحقق مع المجتمعات السكانية الضخمة ذات الإيجارات المحدودة. (ريد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٠٤ –٢٠٥).

وقد فرضت الأسرة النووية كثيرا من المتغيرات في أساليب الحياة، وفي نفس الوقت فقدت من الامتيازات التي كانت تتوفر للأسرة الممتدة. ومن بين تلك الامتيازات [(١)]:

١- أن الأسرة الممتدة كانت تشكل مصدرا للخبرات التي تمد الزوجة الجديدة بأصول التعامل مع الآخرين وأصول الطهي وإدارة المنزل، في حين كانت تمد الزوج بفن التعامل مع زوجته، أما في الأسرة النووية فقد أصبح الزوجان يواجهان الحياة مجردين من الأسلحة الضرورية لمواجهتها.

٢- كانت الأسرة الممتدة تمثل مؤسسة اقتصادية متكاملة حيث لا يحتاج الزوجان الناشئان إلى أكثر من جهاز العروس، في حين أصبحت الأسرة النووية تحتاج إلى تأثيث منزلها الصغير بكل الاحتياجات؛ الأمر الذي أدى إلى تقليل فترة بقاء الأسرة داخل المنزل، والبحث عن متنفس خارجه.

٣- كان أفراد الأسرة الممتدة يقضون وقت فراغهم في ممارسة بعض الألعاب الترفيهية، في حين أدت التطورات الحديثة في مجال الإعلام الى حرمان الأسر من المناشط

(١) (أسعد، د.ت، ص ٣٤-٤١)، (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ١١٨)، (ريد، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م ص٢٠٢).

القديمة، فأصبح الأفراد في الوقت الحالي يتسمرون أمام التلفاز لمشاهدة الآخرين، الأمر الذي زاد من شعور أفراد الأسرة بالغربة، فهم متقاربون جسديا، متباعدون روحيا.

٤- كانت الأسرة تمثل وحدة اقتصادية إنتاجية قائمة بذاتها، وتضطلع بالتربية المهنية لأفرادها ذكورا وإناثا، أما الآن فقد أصبحت مؤسسة استهلاكية، ولم تترك المدرسة فرصة للأبناء لممارسة أية أنشطة حرفية داخل المنزل.

٥- كان أفراد الأسرة في السابق جميعهم موضع اهتمام من الجميع، في حين أصبحوا يميلون إلى الاستقلال، ففقدت الأسرة وحدة العاطفة. وكلما شب الطفل شعر بتفاهة دور أمه، مما ولـد العقوق، والانصراف عن توجيهات الوالدين، ويتقبل الوالدان هذا الانصراف عن توجيهاتهما معللين ذلك بأنه يدل على شخصية الابن وعلى اختلاف الأجيال، فأصبحت الأسرة جنة مهجورة.

٦- كان الأبناء في الأسرة الممتدة ينعمون بجو تربوي سليم يكفل نموهم الجسدي والمعرفي والعاطفي، ويمنحهم القدرة على الاندماج السليم في المجتمع.

آثار التغير الاجتماعي على وظائف الأسرة:

صاحب عملية التحديث قيام مؤسسات اجتماعية متعددة، سحبت كل منها وظيفة من وظائف الأسرة التقليدية كما ونوعا، وذلك بحسب الثقافة المتحكمة في المجتمع. والسبب هو تحول المجتمع من بسيط إلى مركب بحيث يستحيل فيه أن تختص الأسرة بكل الوظائف كما كانت في السابق. ومن بين الوظائف الأسرية التي تأثرت:

١- **الوظيفة الاقتصادية**: فانحسار المهن التقليدية، وقيام الاقتصاد الحديث قد حول الأسرة من وحدة إنتاج واستهلاك إلى وحدة استهلاك فقط.

٢- **وظيفـة الإنجـاب**: ظلت في كثير من الأحيان كما هي في العالم الإسلامي، فهذه هي أهم وظائف الأسرة، وإن كانت في بعض الدول قد أخذت تتأثر بالاتجاهات العالمية في المناداة بتحديد النسل.

٣- **التنشئة الاجتماعية**: هي الوظيفة الرئيسية للأسرة، لكن ظهـرت قنـوات أخـرى تشارك الأسرة منها المؤسسات التعليمية بأنواعها ومستوياتها كافـة؛ ممـا أدى إلى انحـسار السلطة الأبوية.

٤- **رعايــة المسنيــن**: مازالت الأسرة المسلمة تنفرد بهذا الأمر اعتمادا على تعاليم الدين الإسلامي وقيمه التي تعزز هذا السلوك، لكن هناك بدايات للتحول عن هذا الدور في بعض البيئات الإسلامية مع انشغال جميع أفراد الأسرة وعدم وجود من يرعى الكبار.

ويشير بيجوفيتش إلى أن دور الرعاية، ودور الحضانة كلاهما ينتميان إلى نظام واحد، حيث تتوفر فيهما الراحة، في حين ينعدم الدفء والحب. وكلاهما مضادان للأسرة، وبينهما ملمح مشترك، وهو زوال العلاقة الأبوية، فهنا آباء بلا أطفال، وهناك أطفال بلا آباء. (بيجوفيتش، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٢٦٥).

ومن أجل كل هذه السلبيات؛ فقد كثرت الدراسات والندوات والمعاهد، والمؤتمرات التي تدرس حياة الأسرة الحديثة في العالم كله، ووصلت إلى أن الإعـداد للحيـاة يجـب ألا يترك كله للمنزل؛ لـذلك فقـد فتحـت في الـدول الغربيـة فـصول للعلاقـات الإنـسانية، وللعناية بالطفل، والتدبير المنزلي الذي لم يعد تدريبا على الواجبـات المنزليـة العمليـة مـن طعام وملابس، بل صار يشمل أيضا تعليم فن الحياة العائلية. (تاريخ البشرية، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧١م، مج٦،ج٢،ص ١٤٧).

ونجد أنه على الرغم من تعدد أنماط الأسرة في العالم المعاصر إلا أن الأسرة المسلمة مازالت تقوم بدور أساسي في حياة أفرادها، ومازالت العلاقات بين أفرادها قوية في كثير من البيئات، على الرغم من تغير شكلها وظهور ما أشرنا إليه من أوضاع جديدة مصاحبة للتغير الحتمي الذي تمر به المجتمعات المختلفة في العالم كله، وذلك بفضل القيم المستمدة من الإسلام، حيث نجد مثلا أن الاستقلال الكامل المبكر كما هو الحال في الغرب؛ أمر غريب على مجتمعاتنا، إذ مازال استقلال الأبناء يتم في مرحلة متأخرة، وبشكل جزئي. (تقرير العائلة العربية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٧-٨).

لكن هناك نذرا تشير إلى إمكانية تهدم الأسرة المسلمة التي عاشت أربعة عشر قرنا من الزمان محافظة على وحدتها وهي تتمثل في صور الحياة الغربية التي باتت تستهوي كثيرا من أفراد المجتمع الإسلامي. (العمري، د.ت، ص ٤٥).

وهنا تكمن أهمية توعية أفراد المجتمع الإسلامي المعاصر ذكورا وإناثا؛ بأهمية الأسرة، وغرس القيم الإسلامية في نفوسهم منذ الصغر بما يكفل استيعابهم لها والتزامهم بها في سلوكهم في واقع الحياة. فالأسرة هي منبت الإيمان والمثل والفضائل، وهي المدرسة التي بإمكانها إخراج الفرد الإسلامي القادر على حمل لواء الخلافة.

سادسا: دور التربية في إعداد المرأة المسلمة المعاصرة لمسئولياتها الاجتماعية:

مسئولية المرأة هي ذات شقين؛ داخل المنزل وخارجه، وسنتعرف فيما يلي على ذلك بشيء من التفصيل.

١- مسئوليتها داخل المنزل:

يلاحظ في المخلوقات المختلفة الموجودة في الكون أنه كلما قلت موهبة المخلوق كلما قلت مسئولياته. ونجد الحال مثله لدى بني الإنسان حيث إن مسئولياتهم تتفاوت بحسب مواهبهم وقدراتهم، فالبالغ يختلف عمن هو دون البلوغ، والمجنون غير العاقل، والعالم غير الجاهل، وهكذا، ونجد أن الإنسان هو الوحيد الذي رضي بحمل الأمانة التي عجزت عنها المخلوقات الأخرى. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب] .

ولو لم يكن الإنسان قادرا على حمل الأمانة لما كلفه الله بها، سيما وأن الآيات الكريمة تؤكد على أن الله سبحانه وتعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة:٢٨٦].

ونجد أن الله سبحانه وتعالى قد جعل البلوغ أحد شروط التكليف الذي يصبح به الإنسان مسئولا وقادرا على تحمل مسئولياته ومن بينها الزواج، وذلك من الناحية الجسمية؛ الأمر الذي يستتبع أن يكون مؤهلا لذلك من الناحية المعنوية أيضا. (حقي ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص ٨٤).

وقد أشرنا من قبل إلى أن المرأة تتساوى وتختلف مع الرجل في التكاليف بقدر تساويها واختلافها معه في التكوين والاستعداد، فقد خلقت المرأة لغير ما خلق له الرجل؛ ومن ثم وجب على القائمين على تربيتها أن يعملوا على إعدادها لتحمل مسئولياتها منذ الصغر.

والتربية على تحمل المسئولية تساعد الفتاة منذ الصغر على مواجهة ما قد يعترضها من مشكلات داخل الأسرة وخارجها، كما يكسبها المرونة في التفكير، ويساعدها على إحسان التصرف والتأقلم مع مختلف الأشخاص والبيئات، وذلك يكسبها قوة في الشخصية، وثقة بالنفس (درية أمين، ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م، ص ١٥٥–١٥٦)، وينمي لديها حب العمل ونبذ الكسل والرغبة في الإبداع.

أما الدلال المفرط الذي قد تنشأ فيه الفتاة منذ الصغر، فإنه يجعلها تنشأ وهي غير مدركة للواجبات التي تنتظرها في المستقبل، ومن ثم فإنها إذا ما حان وقت تحملها للمسئولية، أصبحت عاجزة عن ذلك أو مقصرة فيها بسبب إهمال إعدادها منذ الصغر.

يقول الكساس كاريل:

" إن الأطفال الذين ينشأون نشأة الأثرياء – أي مدللين – لأنهم لا يبذلون أي مجهود عقلي أو أدبي بل يتعلمون ما يسليهم فقط فإن النتيجة أنهم في مظهرهم يكونون أقوياء متأنقين، لكنهم سريعي التعب، فضلا عن أنانيتهم التي لا حد لها، وتجردهم من حدة الذكاء والحس الأدبي. وإن هذه النقائص كلها بسبب البيئة ولا دخل للوراثة فيها." (كاريل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص ٢٦٤-٢٦٥).

وأحيانا قد يحدث نمو غير مرغوب فيه في استعدادات المرأة، مما يجعلها تنشأ وهي تابعة لغيرها غير قادرة على الاستقلال بشخصيتها، عديمة الثقة بالنفس، ومنبع ذلك أن الجاهلية المعاصرة قد حرصت على أن يماثل تعليمها تعليم الفتى، وأهملت إعدادها لمسئوليتها، ومن ثم فإنها إذا ما تزوجت، عجزت عن إدارة شئونها، وهنا نجد الجاهلية الحديثة تقدم لها الحل في صورة شغالات ومطاعم وحضانات، مما كان له أثر كبير في شيوع الأمراض النفسية والعصبية والخلقية وضياع وتفكك الأسر، وكل ذلك بسبب محاولة تغيير سنن الله. (محمد قطب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ج٢، ص ٣١٢-٣١٣).

وتتوزع مسئولية المرأة المسلمة داخل المنزل إلى عدة فروع تشمل:

أ – مسئولياتها تجاه بيتها.

ب – مسئولياتها تجاه زوجها.

ج – مسئولياتها تجاه أولادها.

وسوف نناقش ذلك بالتفصيل فيما يلي:

أ – مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه بيتها:

يذكر الإمام النووي أن المرأة غير ملزمة شرعا بالخدمة في بيتها حيث يقع على عاتق الزوج تدبير من يقوم بذلك، وأنها لا تأثم إذا ما امتنعت لأن مسئوليتها الأولى تتمثل في رعاية الأولاد. (النووي، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م، ج١٤، ص ١٦٤).

وقد ناقش أبو شقة هذا الموضوع، وذكر كيف، أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ وأسماء بنت أبى بكر ﷺ كانتا تقومان على تدبير شئون منزليهما بنفسيهما؛ لذلك فقد رجح أن الأمر يعود إلى ما تعارف عليه الناس، وأن ظروف الأسرة هي التي ترسم الطريق الصحيح لذلك. (أبو شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ج٥، ص ١١٦، ١٣٢).

كذلك ناقشت نور قاروت هذا الموضوع وتوصلت إلى أن قيام المرأة بمسئوليات المنزل من الأمور المندوبة شرعا، وأنها من كمال حسن العشرة. (قاروت، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٥م، ص٩٨).

وقد أشار ابن تيمية إلى نفس الموضوع فقال: " فعليها أن تخدمه الخدمة المعروفة من مثلها لمثله، ويتنوع ذلك بتنوع الأحوال، فخدمة البدوية، ليست كخدمة القروية، وخدمة القوية ليست كخدمة الضعيفة "(ابن تيمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٣٤، ص٩١).

وفي رأيي أن قيام المرأة بالخدمة هومن كمال حسن العشرة ومن الأمور التي تزيد من المودة بين الزوجين، سيما وأن أعمال المنزل لم تعد تمثل تلك المشقة التي كانت تتحملها النساء في السابق، فقد أصبحت كثير من مسئوليات المنزل من السهولة بحيث يمكن أداؤها في يسر وفي زمن أقل بكثير مما كان عليه الحال في الماضي.

لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى أهمية قيام الرجل بإسداء يد العون إلى زوجته اقتداء بالرسول ﷺ الذي سئلت السيدة عائشة ﷺ عن أمره في المنزل فقالت:" كان يكون في مهنة أهله – تعني في خدمة أهله – فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة." (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج١، الأذان / ٤٤، ١٦٤) وفي رواية أخرى أنها قالت:" كان بشرا من البشر.. يحلب شاته ويخدم نفسه." (ابن حنبل، د.ت، ج٦، ص ٢٥٦).

ونجد أن واقع حياتنا المعاصرة يشير إلى أن حال الغالبية العظمى من المسلمين هي على العكس مما كان عليه الرسول ﷺ، حيث يتجاوز كثير من الأزواج الحد ويصل بهم

الطغيان إلى درجة الاعتداء على نسائهم بالسب والشتم، والإهانة، بل والضرب أيضا.

وهنا يكمن دور التربية في تعريف كل من الرجل والمرأة بواجبات كل منهما تجاه الآخر وأهمية قيام العلاقة بينهما على العدل والإحسان لكي تثمر عن المودة والرحمة تشيعان في أرجاء البيت.

ويرى كثير من العلماء أن مسئولية المرأة تتمثل في الإشراف على إدارة شئون المنزل بحيث يوجد هناك من يقوم بالعمل نيابة عنها، والقول بهذا لا يمنع من الإشارة إلى حاجة المرأة إلى إدراك كثير من الأمور التي تحتاجها من أجل إدارة المنزل، والتدرب على المهارات اللازمة في المجالات المختلفة ومن بينها التغذية، والملابس والمسكن، وتربية الطفل، والعلاقات الأسرية وغيرها من الأمور التي تساعد على تحقيق النمو السليم لجميع أفراد الأسرة.

فإدراك أهمية العمل داخل المنزل أمر يجب تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إليه من خلال التربية؛ لتدرك كيف أن المرأة الغربية التي قادت نساء العالم في المطالبة بالتحرر والمساواة والخروج إلى العمل خارج المنزل، قد أدركت خطأها، وبدأت في العودة لمنزلها من جديد. وقد ذكرت مجلة التايمز الأمريكية والجارديان البريطانية أن معظم قادة حركة تحرير المرأة في الستينيات والسبعينيات قد قررن العودة إلى المنازل بعد اكتشافهن أن شعارات الحركة قد جرت على المرأة متاعب لم تكن في الحسبان، حيث أصبح عملها مضاعفا داخل المنزل وخارجه، إضافة إلى فقدانها لبعض الامتيازات التي كانت تحصل عليها في السابق. (القاسمي، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٩).

كما أشارت الصحف إلى تزايد أعداد الروسيات ممن يفضلن البقاء في المنزل للاهتمام بالزوج والأولاد، (الروسيات يحققن الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٨٨٩).

وجاء في بيان أصدره البابا في روما، أن الكنيسة تؤيد انخراط المرأة في العمل بشرط ألا تنسى واجباتها العائلية تجاه زوجها وأطفالها.(هويدي في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١١٠).

وفي دراسة قامت بها جامعة هارفارد الأمريكية، أوضحت النتائج أن من أسباب تفوق العامل الياباني على نظيره الأمريكي هو تفوقه في الاستقرار العائلي الناشئ عن تفضيل كثير من اليابانيات البقاء في البيت لرعاية الأسرة. (هويدى، الشرق الأوسط،

١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١١٧).

وقد أدرك ذلك (بول كيندي) الذي قال في معرض حديثه عن كيفية مواجهة التحدي الياباني لأمريكا:" بأن أحد الحلول لمواجهة التحدي الياباني للولايات المتحدة، هو أن تعود المرأة الأمريكية لبيتها. " (التويجري في مقدمة رسالة الخليج، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ع ٣٠، ص أ – ر).

هذا ما بدأت تفعله المرأة الأمريكية، حيث لاحظت هيلاري كلينتون قرينة الرئيس الأمريكي السابق أن عدد من يمارسن الاقتراع في الانتخابات أقل بكثير من عددهن قبل ثلاثين عاما، إذ باتت الكثيرات من النساء يعتقدن بأن ذلك لا يعود بأية فائدة على مستقبل المرأة، ولا حتى على مستقبل البلاد عموما. وتعتقد هيلاري بأن جزءا من الأسباب يعود إلى طبيعة الالتزامات والمسئوليات المنزلية إلى جانب العمل. (كلينتون في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١١٥).

وفي استطلاع قامت به شركة أبحاث في نيويورك، أشارت النتائج إلى أن ٥٠٪ من أفراد العينة يفضلن البقاء في المنزل، وهي نتيجة معاكسة لاستطلاع آخر أجري عام ١٩٨٥م/ ١٤٠٥ هـ.

(الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١١٨).

فهذا هو الذي يحدث في الغرب الآن، في حين مازال الشرق متخلفا حتى في تبعيته للغرب حيث يتبع ما بدأ الغرب يتخلى عنه من أمور.

ب – مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة تجاه زوجها :

هناك العديد من نصوص السنة النبوية التي أشارت إلى مسئولية المرأة تجاه زوجها منها:

قوله ﷺ فيما رواه أبو أمامة رضي الله عنه :" ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله، خيرا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله " (ابن ماجه، د.ت، ج١، النكاح / ٥، ص ٥٩٦).

وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه " لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه". (البخاري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م ، ج٦، النكاح / ٨٤، ص ١٥٠).

وقوله ﷺ فيما رواه قيس بن سعد رضي الله عنه :" لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لأحد، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن، لما جعل الله عليهن من الحق."(أبو داود، د.ت، ج٢، رقم ٢١٤٠، ص ٢٤٤).

وقوله ﷺ فيما رواه عمرو بن الأحوص عن أبيه رضي الله عنه : ".. فأما حقكم على نسائكم، فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون." (الترمذي، د.ت، ج٣، الرضاع / ١١، ص ٤٦٧).

كما روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الرسول ﷺ أقبل من غزوة، فلما قدم المدينة قال لأصحابه: " أمهلوا حتى ندخل ليلا (أي عشاء) كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة " (مسلم، د.ت، ج٢، الرضاع / ١٦، ص ١٠٨٨).

فكل هذه النصوص تشير إلى عدد من المسئوليات التي يجب على المرأة القيام بها تجاه زوجها أهمها:

١- الطاعــة.

٢- حسن الخلق.

٣- كتمان الأسرار.

٤- التواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٥- التزيــن.

وفيما يلي تفصيل الحديث عن هذه الأمور:

١- طاعة المرأة زوجها:

إضافة إلى النصوص السابقة نجد هناك نصوصا أخرى في الكتاب والسنة تؤكد هذه المسئولية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:٣٤].

ويذكر سيد قطب أن القنوت هو الطاعة عن رضى ورغبة في النفس، دون شعور بالضيق والحرج، وهذا النوع من الطاعة هو الذي يملأ جو الأسرة بالود والسكينة والسلام. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م، مج٥، ص ٦٥٢).

ثم يأتي بعد ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ [1] فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤]، ليشير إلى أن طاعة المرأة لزوجها هي الأصل، أما النشوز فهو الاستثناء. وهذا ما ينبغي تأكيده في نفس المرأة منذ الصغر، حتى لا تجرفها الأهواء، فتتبع من يرى في طاعة الزوج تخلفا عن العصر، ونوعا من العبودية التي مضى زمانها.

ويشير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء:١] إلى أهمية التقوى في الحياة الزوجية، والتي تعمل على وقاية كل من الزوجين من السقوط ووقاية المجتمع مما قد يشيع فيه من انحرافات؛ لذلك وجدنا نصوص السنة النبوية تشدد على وجوب طاعة الزوج خاصة فيما يتعلق برغباته الخاصة أيا كانت مشاغل المرأة، وتتوعدها في حالة الرفض وعيدا شديدا. يقول الرسول ﷺ: " والذي نفسي بيده! ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطا عليها، حتى يرضى عنها ". (مسلم، د.ت، ج٢، النكاح/ ٢٠، ص١٠٦).

وفي حديث آخر يقول عليه السلام: " إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته فبات غضبان عليها، لعنتها الملائكة حتى تصبح. " (مسلم، د.ت، ج٢، النكاح/ ٢٠، ص١٠٦٠).

فالإسلام يراعي فطرة الرجل التي تختلف كثيرا عن فطرة المرأة فيما يتعلق بالغريزة الجنسية، ولذلك فإنه يتيح له الفرصة لإشباعها بكيفية لا تلجئه إلى الوقوع في معصية الله. لذلك وجدنا الإسلام يسقط عن المرأة النوافل، ويأمرها بتلبية رغبة زوجها في أي وقت دون تحديد.

والطاعة التي يأمر الإسلام بها المرأة ليست قهرية عمياء، بل هي طاعة مستنيرة واعية في غير معصية الله بحيث تثمر عن مودة ورحمة تعين على تحمل تكاليف الحياة وإلى ذلك يشير قوله ﷺ: " لا طاعة في معصية الله تبارك وتعالى" (ابن حنبل، د.ت، ج٤، ص ٤٢٦).

---

(١) **النشوز** هو الارتفاع. والمرأة الناشز هي المرتفعة على زوجها، المخالفة له، الخارجة على طاعته. (الزبيدي، د.ت، ج٤، ص٨٦) .

ومن ثم فإن طاعة الزوج فيما يتعارض مع أوامر الله، يعد نوعا من العبودية التي تؤدي فيها الزوجة طقوسها تجاه زوجها، رغبة في ثواب الدنيا، مما يجعلها تغفل عن أن الله سبحانه وتعالى هومالك الدنيا والآخرة. وإلى ذلك يشير قوله تعالى:" ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النساء:١٣٤].

وهذا ما يحدث كثيرا في واقعنا المعاصر حيث يؤدي تسلط الأهواء والشهوات إلى أن يعمد كثير من المسلمين إلى إصدار ما يخالف أوامر الله ونواهيه من أوامر، تنساق النساء في طاعتها رغبة في نعيم الدنيا الهابط، كالأمر بالتبرج، أو الاستمتاع باللهو المحرم، أو عقوق الوالدين، أو قطع الرحم، أو الكذب، أو الخيانة وغيرها.

وعلى العكس من ذلك نجد من النساء من تعمد إلى الاستعلاء على زوجها لجمالها أو حسبها أو نسبها أو مالها أو مكانتها الاجتماعية، إلى غير ذلك من الأسباب التي تدفعها إلى تجاوز الحد في الطغيان والإعراض عن طاعة زوجها. مما يؤكد عمق التوجيه النبوي في الحث على الزواج من ذات الدين. يقول ﷺ: " تنكح المرأة لأربع؛ لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك." (مسلم، د.ت ج٣، الرضاع/ ١٥، ص١٠٨٦).

٢- حسن الخلق:

وذلك من خلال بذل الوسع في الإتيان بكل ما يدخل السرور على الزوج. روى حصين بن محصن فقال: " حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ في بعض الحاجة فقال: " أي هذه أذات بعل؟ قالت: نعم. قال: كيف أنت له؟ قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. قال: فأين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك. " (الحاكم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٢، ص ٢٠٦).

وقد جاء عن الرسول ﷺ أنه قال: " تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة." (ابن حنبل، د.ت، ج٣، ص ١٥٨).

ومن التودد للزوج ضبط اللسان والإحسان في اختيار الألفاظ عند الحديث دوما وعلى الأخص في الأوقات العصيبة التي قد تمر بالأسرة وعند الغضب الذي يثيره الشيطان في نفس الإنسان ليدفعه إلى فعل الخطأ. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الإسراء:٥٣].

كذلك ينبغي على المرأة معاملة زوجها باحترام ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى المؤمنين بأنهم﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة:٥٤] والذلة هي أعلى مراتب الاحترام، الذي هو شيء زائد على المحبة، وتظهره الكلمة الطيبة، وحرارة اللقاء، وحسن الأسلوب.(حوى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠).

وقد أمر الرسول ﷺ بخفض جناحه للمؤمنين، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر:٨٨] ، فمن باب أولى أن يقتدي به المسلمون فيما بينهم.

ومن مظاهر إحسان العشرة أيضا؛ إبداء الشكر للزوج . يقول ﷺ: " إن الله لا ينظر لامرأة لا تشكر لزوجها، وهي لا تستغني عنه " (الحاكم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٢، ص٢٠٧).

والشكر يكون بالقول وبالعمل. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ﴾ [سبأ:١٣] .

فعدم مقابلة الإحسان من الرجل بالشكر من المرأة يدل على الاستعلاء والغرور في حين أن الحياة الزوجية ينبغي أن تحفها المودة والرحمة.

والشكر من علامات الإحسان الذي يجعل المرأة تستشعر مراقبة الله سبحانه وتعالى ويحول بينها وبين كفران العشير، حتى إذا ما قصر في واجباته نحوها، وصدر منه خطأ بحقها فإنها تستعلي على كبريائها لتكون عؤودا في انتظار الجزاء الكبير من الله سبحانه وتعالى. يقول ﷺ: " ألا أخبركم بنسائكم في الجنة: قلنا: بلى يارسول الله. قال: ولود ودود إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتمل بغمض حتى ترضى." (الطبراني، ١٣٨١ هـ/ ١٩٦٨ م، ج ١، ص٤٦).

وهنا قد يغلب الشيطان الزوج ويدفعه الهوى إلى الاستعلاء على زوجته والتمادي في الغضب وعدم الصفح؛ فعندئذ يأمرها الإسلام بالاستمرار في الإحسان في معاملته. يقول ﷺ: " لايحل لامرأة تؤمن بالله أن تأذن في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، ولا تطيع فيه أحدا، ولا تعزل فراشه، ولا تضر به. فإن كان هو (أظلم) فلتأته حتى ترضيه، فإن قبل منها فبها ونعمت، وقبل الله عذرها، وأفلح حجتها، ولا إثم عليها. وإن

هو لم يرض، فقد أبلغت عند الله عذرها." (الحاكم، ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م، ج ٢، ص ١٩٠).

ومن أوجه الإحسان في معاشرة الزوج أيضا؛ بذل الوسع في الحفاظ على التوازن داخل الأسرة، وذلك من خلال الإحسان إلى أهل الزوج، والتودد إليهم، وخاصة أمه التي قد تشعر بنوع من الغيرة الفطرية، باعتبارها كانت تمثل المحور الأساسي الذي تدور عليه حياة ابنها.

ويدخل ضمن حسن الخلق؛ مراعاة شعور الزوج بحيث تبتعد المرأة المسلمة عما قد يؤذي مشاعر زوجها من قول أو فعل، ويدخل ضمن ذلك:

١ – مراعاة مكانته الاجتماعية:

بحيث لا تتضايق من عمله خارج المنزل أيا كانت مهنته مادام عمله شريفا يكتسب منه. ونجد أن مما يحتقره الناس اليوم مهنة رعي الأغنام، في حين أنها من أشرف المهن؛ حيث ارتضاها الله سبحانه وتعالى لعدد من أصفيائه وخيرة خلقه وهم الأنبياء عليهم السلام وآخرهم محمد ﷺ، وهي مهنة تقوم على ملاحظة لحياة الحيوان والعيش قريبا منه والعناية به حراسة وإطعاما، وفي ذلك إرهاف للحس، وتحمل للمسئولية، وتقديرها، فكأن الله أراد تعويد أنبيائه على حسن المعاملة واللطف والشفقة والرأفة بالرعية، وهي تشير إلى أنه يجب على كل مسلم ألا يربأ بنفسه عن أية مهنة مادام يقوم بأدائها بأمانة، وفيها أيضا تنبيه إلى أهمية تربية الأفراد على أن الكرامة الإنسانية إنما تقاس بقيم الإنسان وسلوكه، لا بأعراف الناس.

٢– مراعاة ظروفه المالية:

بحيث ترضى بما قسم الله وتتذكر حديث رسول الله ﷺ: " أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة. "(الهيثمي، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ج٢، ص ١٥)، فإذا ما كان زوجها يعاني من ضيق ذات اليد، فإن الإحسان معه يدفعها إلى الاحتساب في سبيل الله، ومعاونته إذا ما كانت ذات مال تأسيا بخديجة رضي الله عنها التي واست الرسول ﷺ بنفسها ومالها فكان مآلها الجنة، وبشرت في الدنيا ببيت في الجنة من قصب (جوهر).

وقد روي أن امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما – وكانت ذات مال وزوجها فقير – سألت الرسول ﷺ إن كان يجوز لها أن تتصدق على زوجها فقال عليه السلام:" نعم ولها أجران

أجر القرابة وأجر الصـدقة" (البخاري، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، ج٢، الزكاة / ٤٨، ص ١٢٨).

٣- كتمان الأسرار:

روى أبوهريرة رضى الله عنه أن الرسول ﷺ أقبل على أصحابه يوما فقال: " هل منكم الرجل إذا أتى أهله فأغلق عليه بابا وألقى عليه ستره واستتر بستر الله "؟ قالوا: نعم، قال: " ثم يجلس بعد ذلك فيقول: فعلت كذا فعلت كذا " قال: فسكتوا، قال: فأقبل على النساء، فقال: " هل منكن من تحدث "؟ فسكتن، فجثت فتاة (كعاب) على إحدى ركبتيها، وتطاولت لرسول الله ﷺ ليراها ويسمع كلامها، فقالت: يارسول الله، إنهم ليتحدثون، وإنهن ليتحدثنه، فقال: " هل تدرون ما مثل ذلك "؟. فقال: (إنما ذلك مثل شيطانة لقيت شيطانا في السكة فقضى منها حاجته والناس ينظرون إليه،... ألا لا يفضين رجل إلى رجل، ولا امرأة إلى امرأة، إلا إلى ولد أو والد) (أبوداود، د.ت، ج٢، الطلاق / رقم ٢١٧٤، ص ٢٥٣ - ٢٥٤).

فهذا النص يشير إلى أهمية حفاظ المسلمة على إنسانيتها من الهبوط إلى مستوى الأحاديث التافهة التي سارت عليها الجاهلات من النساء بسبب الفراغ وعدم إدراك حقيقة التقوى، مما يجعلهن يجدن المتعة في الحديث عن أدق أسرار الحياة الزوجية.

وينسحب كتمان الأسرار على جميع الأمور التي تعرض بين الزوجين، خاصة الخلافات التي هي أمر طبيعي في الحياة الزوجية لأن من أعوان الشيطان من لا يجد متعته إلا في ترويج الإشاعات.

٤- التواصي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهب الله المرأة قدرات ومواهب تجعلها ذات أثر كبير في حياة الرجل. ويشير إلى ذلك قول الرسول ﷺ: " وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوي الألباب، وذوي الرأي منكن. " (الترمذي، د.ت، ج٥، الإيمان / ٦، ص ١١). وهذا تأكيد لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨].

وهذه القدرات لابد وأن تعمل التربية على توجيهها نحو غاياتها السامية، فإن الشيطان يستغلها في توجيه المرأة لتحقيق غرضه من إغواء بني آدم؛ وإلى ذلك يشير قوله تعالى:

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص]

فبهذه القدرات والمواهب تملك المرأة أن تدفع بزوجها إلى المخاطرة في سبيل تحقيق ما تصبوا إليه من أهداف عظيمة أو هابطة بحسب التربية التي تتلقاها المرأة؛ لهذا وجدنا الرسول ﷺ يوجه المرأة إلى حث زوجها على فعل الخيرات في صورة قيام الليل حيث يقول فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : "رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فإن أبت نضح في وجهها الماء. ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء" [1] . (ابن حنبل، د. ت، ج٢، ص ٢٥٠)

وندرك من ذلك عظمة التوجيه الإسلامي في حث الرجل على الزواج من ذات الدين؛ لأن الواقع يؤكد أن المرأة الصالحة ذات أثر كبير على زوجها حيث تدفعه إلى الإحسان في تحقيق عبوديته لله من خلال الإحسان في أداء مسئولياته تجاه نفسه وأهله والناس جميعا.

٥- التزين للزوج:

معنى الزينة:

الزينة هي اسم لكل ما يتزين ويتجمل به (الزبيدي، د.ت، ج٩، ص ٢٣٩)، وزينة المرأة هي كل ما يزينها ويجعلها مقبولة مستحسنة في العين والخاطر. (الفرماوي، د.ت، ص ١٥) والزينة تتعلق بالمرأة من جانبين: جانب معنوي، وهو الزينة الخلقية، وجانب حسي وهذا ينقسم إلى **قسمين: خلقي ومكتسب.**

فالزينة الخلقية مثل الوجه وقوام الجسم، ولون الشعر وطوله ولون البشرة وغير ذلك.

أما **الزينة المكتسبة** فهي ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها بالوضع مثل الملابس والحلي. (القرطبي، د.ت، ج٦، ص ٤٦٢١).

وقد راعى الإسلام فطرة المرأة في حب الزينة ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي

(١) أخرج الطبراني في الكبير عن عنبسة بن الأزهر قال: تزوج الحارث بن حسان رضى الله عنه - وكانت له صحبة - وكان الرجل إذا تزوج تخدر - أي لزم البيت فلا يخرج منه - أياما، فلا يخرج لصلاة الغداة، فقيل له: أتخرج وإنما بنيت بأهلك في هذه الليلة؟ قال: والله إن امرأة تمنعني من صلاة الغداة في جمع لامرأة سوء. (الكاندهلوي، د. ت، ج٣، ص ١٢٣-١٢٤).

﴿ٱلۡخِصَامِ غَيۡرُ مُبِينٍ ١٨﴾ [الزخرف] ، لكنه وضع لها من الضوابط ما يجعلها تلبي حاجة المرأة الفطرية، وتحفظ للمجتمع أمنه واستقراره، فحث على أن تتوجه بها المرأة نحو شريك حياتها ليساعد ذلك على زيادة المودة والرحمة بينهما، كما حث على مراعاة عدم الخروج عن الفطرة من قبل المرأة في أمور الزينة؛ ولذلك جاء توجيه الرسول فيما رواه ابن عمر رضي الله عنه بقوله ﷺ: " لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة والمستوشمة." (مسلم، د.ت، ج٣، اللباس / ٣٣، ص ١٦٧٧).

فالرغبة في التزين أمر فطر الله المرأة عليه، كما أشرنا، وهي حقيقة يؤكدها علماء النفس، حيث تميل المرأة إلى إظهار تفوقها الجمالي منذ مرحلة مبكرة من حياتها، ولذلك تأثيره الكبير على سلوكياتها. (حافظ يوسف، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٢٠).

والإسلام حين يراعي الدوافع الإنسانية فإنه يضع لها الضوابط التي تكفل تحقيق التوازن في واقع الحياة، لذلك جاء التوجيه الإلهي بعدم الإسراف في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١] ومن ثم فإن التطرف وتجاوز الحد في أمور الزينة، أمر يرفضه الإسلام، وهو بالمقابل يرفض أيضا التبذل ورثاثة الهيئة لمن أنعم الله عليه بما يمكنه من تحسين مظهره؛ لأن الله" جميل يحب الجمال " (مسلم، د.ت، ج١، الإيمان/ ٣٩، ص ٩٣)، و" يحب أن يرى أثر نعمته على عبده " (الترمذي، د.ت، ج٥، الأدب / ٥٤، ص ١١٤) سيما وأن الوسطية هي الحالة التي ارتضاها الله لأمة الإسلام.

ومن ثم وجب على التربية توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الاهتمام بزينتها دون إفراط أو تفريط، بحيث توجهها الوجهة الصحيحة التي تحقق عبوديتها الكاملة لله، فتكون قدوة لغيرها في كل شيء.

وإن ما يحدث من بعض النساء الملتزمات من تبذل وعدم اهتمام بمظهرهن؛ أمر يتعارض مع ما يحرص عليه الإسلام من أن يكون المسلم حسن الخلق وحسن الهيئة كالشامة بين الناس.

روى أبو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: " إنكم قادمون على إخوانكم، فأصلحوا رحالكم، وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا

يحب الفحش ولا التفحش." (أبو داود، د.ت، ج٤، اللباس/ رقم ٤٠٨، ص٥٩).

وينبغي أن تدرك المرأة أنها تتقرب إلى الله حينما تتزين لزوجها باعتدال، دون إهدار للوقت أو المال. سيما وأن في ذلك استمالة لقلب الزوج، وإرضاء لغرائز المرأة.

وتنسحب الزينة الحسية على الشكل العام لقوام المرأة، الأمر الذي يستدعي من المرأة الاهتمام بتطبيق التوجيهات النبوية في مجال الصحة، ومن ذلك قولهﷺ:" ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن.." وقد مر الحديث معنا فيما سبق[1].

فالمرأة التي تهمل هذه التوجيهات؛ يمكن بإهمالها أن تحيل ما حباها الله به من جمال القوام إلى قبح قد ينفر الزوج ويدفعه إلى التوجه ببصره ونفسه بعيدا عنها خاصة في ظل المغريات الكثير في عالم اليوم، وبتأثير المدنية الحديثة التي لا تؤمن إلا بالفاني، والتي تطلق العنان للجانب الحيواني في الإنسان ليحيل العالم إلى شهوات مستعرة لا تجد راحتها إلا في المتعة الحرام.

لقد كان الغرض الرئيسي من زينة المرأة منذ القدم، هو استيفاء وسائل الترفيه للزوج. لكن المدنية الغربية؛ انحدرت بآداب البيت إلى فوضى الشارع، محطمة المعاني الرفيعة للزينة، لتجعل منها سبيلا لإثارة التفاعل الجنسي في كل مكان ، " وبذلك أصبحت صناعة التبرج تشكل موردا عالميا سخرت له الفنون والعلوم.. فهي كل يوم، بل كل لحظة، في جديد من هذا الشأن. وهكذا دخل حساب التبرج في ميزانية الأسرة، كشيء أساسي لا يقل أهمية عن الخبز. "(المجذوب، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١٤٢-١٤٣).

فالمرأة المسلمة ينبغي أن تعي أنها في تبعيتها للغرب، إنما تقلد القوم الذين أذلوا أمتها وسلبوا حريتها، وذلك لأن الواقع يشير إلى هذه التبعية العمياء، حتى بين المثقفات اللاتي بدلا من أن يعملن على تصحيح الأوضاع، اندفعن منغمسات في الجو المريض أكثر من غيرهن، ولم يعد هناك فرق في مستوى الأحاديث التي تدور في مجالس النساء الأكثر علما، والأوفر جهلا، فلا حديث لهن إلا عن الأزياء والمأكل، والغيبة والنميمة، وقلما يرتقي الحديث ليشمل الواقع الاجتماعي الذي يعشن فيه، إن تناوله، فغالبا ما يكون تناوله بشكل استعراض مجرد عن التحليل أو محاولة التصويب.

وقد انعكست آثار كل ذلك على شخصية المرأة المسلمة المعاصرة التي أصبحت

(١) انظر نص الحديث ص ٣٥٢.

مسلوبة الإرادة أمام رغباتها وشهواتها، فنجدها لا تكاد تمر بشيء أعجبها إلا اشترته، حيث إنعدمت لديها قوة المقاومة لرغبات الاقتناء لكل شيء، وأصبح ذلك مدعاة لإرهاق المعيل إن كانت غير عاملة، وسببا للإسراف في الإنفاق إن كانت عاملة [١].

بل تعدى الأمر إلى التزين بما لا يجوز لها شرعا كالوشم والنمص والوصل وغيره.حيث نجد أن من أحدث ما ابتكر في مجال الزينة والجمال؛ استخدام الوشم الذي أصبح يطلق عليه اسم (الديموغراف) وهو " علم يحدد معالم الجمال عن طريق التلوين الطبيعي للجلد دون أن يظهر للعين المجردة، وتستعمل فيه مواد نباتية فقط." (الوشم يفجر.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٧٧).

فينبغي من خلال التربية تعريف المرأة المسلمة المعاصرة بأصول الزينة ، وما يحل منها وما يحرم، حتى لا تخرج عن دائرة الفطرة، وتحسن الاختيار من بين الكم الهائل الذي تعرضه الأسواق من أسباب الزينة، وتحسن اختيار ما تلبس بحيث لا تخرج عن حدود الحشمة أمام محارمها. فما يسمى " بالميني جيب [٢]، والميكروجيب [٣]، والبنطلونات الإسترتش [٤]" وغيرها من التصميمات التي تظهر عورة الجسد وتفصيلاته،لا يجوز أبدا أن تظهر بها أمام غير الزوج. فهذه التصميمات وأمثالها قد أوجدها أرباب الموضة من أجل إرواء رغبة الرجل في الاستمتاع الحرام بجمال المرأة[٥] في حين أن الإسلام لا يجيز للمرأة أن تظهر بها حتى أمام النساء وذلك لأنها إلى جانب تعارضها مع مقتضيات الفطرة، تخرج بالملابس عن وظيفتها الأساسية في ستر العورة وإضفاء الجمال على لابسها. والإسلام يحرص على أن يدرك المسلم المعاني الجميلة للثوب الجديد. ويشير إلى ذلك قول

---

(١) تستنكف غالبية النساء العاملات عن الذهاب إلى العمل بالثوب نفسه ليومين متتاليين، فلابد أن يكون للمرأة مجموعة من الثياب، وما يتبعها من مكملات الأناقة التي تنسجم مع ألوان الثياب من حقائب وأحذية وحلي وزينة للشعر.

(٢) ثوب قصير فوق الركبة.

(٣) ثوب أقصر من الميني جيب.

(٤) نوع من البنطلونات يلتصق بالجسد فيجسمه.

(٥) يقول عالم الإجتماع (برنارد بابر): " إن الميني جيب تعبير للفلسفة في عصر يريد أن يستمتع بالأكل والفرجة، وينهل من اللذات الجسدية. " ويقول كريستيان ديور: "...إننا ونحن نصمم أزياء ترضي المرأة، فإننا نهتم أيضا بمزاج الرجل. فالرجل إذا في الواقع هو محور (الموضة) لأنه هو الذي سينظر ويستمتع." (باجبير في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع٦١٧٥).

الرسولﷺ الذي رواه أنس بن مالكرضي الله عنه:"... ومن لبس ثوبا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر." (أبو داود، د.ت، ج٣، اللباس/ رقم ٤٠٢٣، ص ٤٢). كما أنهﷺ كان إذا ما استجد ثوبا: " سماه باسمه عمامة أو قميصا أو رداء، ثم يقول: اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه، أسألك خيره وخير ما صنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له "(الترمذي، د.ت، ج٤، اللباس/ ٢٩، ص ٢١٠).

ونجد من بين النساء في الغرب من أدركت بفطرتها وخبرتها في الحياة، الآثار السيئة لهذه التصميمات وللإعلانات عنها، حيث تعمل على تدمير براءة الأطفال وأخلاق الشباب، فراحت تنتقد القائمين عليها. ومن هؤلاء "هيلاري كلينتون" زوجة الرئيس الأمريكي الحالي؛ التي انتقدت إعلانات شبة عارية لإحدى دور الأزياء مشيرة إلى أن الإعلانات التجارية قد أصبحت تشكل مصدر مضايقة للناس، لأن أصحابها ينفقون ملايين الدولارات بغرض تشكيل آراء الناس وتغيير أذواقهم، وبذلك أصبحت "مسألة تحقيق الأرباح لدى المعنيين أهم من الاستقامة، والمدنية، والذوق، والأخلاقيات "[1] (كلينتون في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦١٤٤).

كذلك ينبغي على التربية أن تهتم بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى السبل الصحيحة للتجمل، بحيث تحذرها من كل ما قد يضر بصحتها، حيث قد ثبت أن كثيرا من مستحضرات التجميل المنتشرة لها أضرارها على البشرة على المدى البعيد، وفي ذلك يقول عاشور:

"ولنهمس في أذن كل سيدة، أن مستحضرات التجميل التي لا يكاد يخلو منها بيت، تحتوي على أنواع مختلفة من السموم المعدنية، كالزنك، والزئبق، والرصاص، والزرنيخ،.. وكثير من المواد السامة هي أساس تكوين هذه المستحضرات، كمستحضرات تجفيف العرق، ومزيلات الروائح، وإزالة الشعر، وتلوين الجلد، وإزالة التجاعيد، وإطالة الشعر ودهانه، ومثبتاته ومنعماته ومموجاته." (عاشور، د.ت، ص٧٦).

---

(١) وقد اضطرت الدار إلى سحب إعلاناتها بعد أن ثار غضب العامة ودعوا إلى الامتناع عن شراء سلع لا تبعث إعلاناتها على الارتياح. (كلينتون في الشرق الأوسط،١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٦١٤٤).

ج - مسئولية المرأة تجاه أولادها:

تشير النصوص من الكتاب والسنة إلى أن المرأة مسئولة عن حضانة الأطفال وتربيتهم، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ﴾ [البقرة:٢٣٣].

وقوله ﷺ فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: " وإن لولدك عليك حقا. " (مسلم، د.ت، ج٢، الصيام/ ٣٥، ص٨١٤) وقوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " خير نساء ركبن الإبل صالح نساء قريش أحناه على يتيم في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يد. " (مسلم، د.ت، ج٤، فضائل/ ٤٩، ص١٩٥٨).

وتصل خطورة دور الأبوين - وخاصة الأم - في حياة الطفل إلى درجة إمكانية تحويله عن فطرته، وإلى ذلك يشير الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء " (مسلم، د.ت، ج٤، القدر/ ٦، ص٢٠٤٦).

فإذا كان تأثير الأبوين في ولدهما إلى الحد الذي جاء في الحديث الشريف، وهو تحويله عن فطرته، وما تستلزمه من معرفة الإسلام ومحبته، فمن البديهى أن يكون تأثير الأبوين في ولدهما في معاني الإسلام وترسيخها في نفسه وتبصيره بها أعظم بكثير لأن الإسلام وهو ما ترتاح إليه الفطرة. ومن هنا كانت مسئولية الوالدين كبيرة في الحفاظ على فطرة أولادهم وتكوين العقيدة الصحيحة في نفوسهم (زيدان ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٩، ص١١٤).

وأحيانا يحدث أن يموت الزوج تاركا زوجته وأولاده، فتترك الزواج وتربيهم، ومثل هذه الأم بشرها ﷺ بالصحبة في الجنة؛ حيث روى عوف بن مالك الأشجعي أن الرسول عليه السلام قال: "أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة "، (وأومأ يريد بالوسطى والسبابة)، " امرأة آمت من زوجها، ذات منصب وجمال، حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا، أو ماتوا " (أبو داود، د.ت، ج٤، الأدب/ رقم ٥١٤٩، ص ٣٣٨).

ويشير واقع المجتمعات الإسلامية إلى أن المرأة المسلمة المعاصرة قد اندفعت وراء تلبية شهواتها ورغباتها من العمل وغيره تاركة أولادها للخادمات أو للإهمال، وقد أدى

ذلك إلى إنشاء أجيال مسلمة بالتبعية، متزعزعة العقيدة، ما أن تفرض عليها أفكار أخرى حتى تتقبلها بسهولة؛ لأنها لم تنشأ على العقيدة الصحيحة، بل نشئت على الخوف من الظلام ومن المجهول، ومن الموهومات (الأشباح والعفاريت) ثم جاءت المدنية الغربية بقصصها الخرافية لتزيد الأمر سوءا.

وتشير الإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الخصوبة في البلاد الإسلامية في مقابل ارتفاع معدلات الوفيات بين الأطفال، لا اختلاف في ذلك بين الدول الغنية والفقيرة. (برنوطي في ندوة تنمية مساهمة المرأة..، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٣٣)، وهذا إنما يدل على الإهمال في تربية الأطفال والذي من أبرز أسبابه الجهل الذي يمنع المرأة من أن تدرك أن الإهمال في تربية الجسم يضعفه ويشوهه، والإهمال في تربية الحواس يضعفها ويفقدها الإحساس بالحياة، وإهمال العقل يدفع إلى الأمية وسوء التصرف، وإهمال الروح يجعل الحي ميتا مادي التكوين جاف الطبع أنانيا، كالحيوان في شهواته. (القصار، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٢٥-٢٦)

وقد برزت نتائج هذا الإهمال على واقع حياة الأمهات اللاتي أصبح منهن من لا يلقين من أبنائهن سوى الجحود والنكران والتجريح على مسمع من الآخرين، وأصبحت كثيرات منهن يعانين من أمراض الشيخوخة وارتفاع ضغط الدم بسبب هذا القهر. (الجفري في عكاظ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ١٠٣٦٨).

بل قد وصل الحال ببعض الأبناء إلى قتل أمهاتهم مما يشير إلى فقدان الإحساس لدى هؤلاء الأبناء الذين لو شعروا بأهمية أمهاتهم في حياتهم ما قابلوهن بمثل هذه الجرائم.

ومن إهمال الأولاد تركهم للخادمات حيث تغفل الأم عن حقيقة أن: "الأم هي كل من يمارس دورا رعائيا تربويا، وليست كل من تتزوج وتنجب الأولاد " (فهؤلاء هن أشباه أمهات، فليس من فضل من تنجب ثم تسلم أولادها لغيرها [1]. (صحمراني في آفاق الإسلام، ع١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ١٣٦).

ويدخل ضمن الإهمال أيضا إهمال الرضاعة الطبيعية، حيث شاع استخدام الحليب المجفف في معظم الدول المتقدمة عقب الحرب العالمية الثانية، وتصور البعض أنه قد

(١) تعترف إحدى الأمهات بأن فقدان الوعي الكافي لديها ولدى غيرها من النساء، يدفع بهن إلى اتباع أساليب عشوائية ومزاجية في تربية أبنائهن، كما تعترف بأنها وبعد إرهاق يوم كامل من العمل، تعود إلى المنزل وأعصابها غير قادرة على تقبل حركات أطفالها، مما يجعلها تعمد إلى أسهل السبل لوقفها وهو الضرب. (المسلمون، ١٤١٥ هـ/ ١٩٥٥ م، ع٥٢٦).

يخفض معدلات وفيات الأطفال، واعتبرت الرضاعة الطبيعية من الممارسات البدائية التي سرعان ما أصبحت غير مقبولة اجتماعيا، وتبين خطأ الاتجاه عندما شجعت الدول الصناعية نساء الدول النامية على اللجوء إلى الحليب الصناعي الذي أدى إلى زيادة عدد وفيات الأطفال، خاصة في إفريقيا وبنغلادش وغيرها من الدول التي تفتقر إلى وسائل الرعاية الطبية والمرافق الصحية. (مجلة الشرق الأوسط، ع٤٨٠، ١٩٩٥م، ص ٣٤).

وقد أثبتت الأبحاث أن حليب الأم به عناصر مناعية دفاعية منها ماله دور في محاربة السرطان، وهو ما لا يستطيعه الحليب الصناعي، إضافة إلى نظافته. كما أكد الأطباء النفسيين أن عملية الرضاع تمثل " مسألة فسيولوجية معقدة، وأنها إلى جانب الطعام تقدم نوعا من الروابط النفسية بين الأم وطفلها لها دورها في نمو الجهاز العصبي والمناعي لدى الطفل، ولذلك أثره في مستقبل حياته. " (مجلة الشرق الأوسط، ع ٤٨٣، ص ٢٣، ١٩٩٥م).

كما أثبتت الدراسات التي أجريت في الغرب أن اضطراب كثير من الجانحين يعود أساسا إلى انفصال الأبناء في سني حياتهم الأولى عن الأم، مما يدفع بالذكور منهم إلى الإجرام، وبالإناث إلى الوقوع ضحايا تجار الجنس وغيرهم. (العويد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ج٤، ص١٧ – ١٩).

ويشير واقع المجتمعات لدينا إلى كثير من النتائج الخطيرة التي تترتب على إهمال الأم لمسئوليتها في تربية أبنائها من بينها:

١-وجود الطغاة من الولاة على أمور الناس ممن يتلذذون بتعذيبهم.

٢-وقوع الأجيال ضحية المخدرات والمسكرات، والجرائم المختلفة.

٣-وجود المنحرفين في المجالات المختلفة الثقافية، والفكرية، وغيرها ممن يتاجرون بجسد المرأة ذاتها.

فكل هؤلاء قد خرجوا من حضن المرأة التي تناست واجباتها حين اندفعت تطالب بحقوقها بتبعية عمياء.(الركابي في الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٦١١٥).

ونجد أن عدم إدراك المرأة المسلمة المعاصرة لحقيقة علاقة العدل والإحسان وأهمية تطبيقها في تعاملها مع أبنائها، يجعلها تسلك في رعايتهم أحد سبيلين:

-إما أن تكتفي بالالتزام غير الواعي بأنماط التنشئة التي طورتها الأجيال السابقة، فيدخل أبناؤها الحياة العامة دون الاستفادة من تجارب الحاضر ومعطياته.

- وإما - إذا ما كان لديها بعض الوعي - أن تعمد إلى تقليد الأنماط الغربية والتي قد تعالج بعض المشكلات في الوقت الذي تخلق فيه أخرى. (البرنوطي في ندوة تنمية..، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ١٣٣-١٣٤).

إن مما لا شك فيه أن الحب والحنان الذي تفيضه الأم على أبنائها، والعقيدة والقيم التي تغرسها فيهم لا يمكن لأي فرد آخر أن يعوضه. وقد أدرك ذلك الكاتب تولستوي الذي يقول:

" أنا لا أناقش في أن المرأة تستطيع أن تقوم بكل عمل يمكن أن يقوم به الرجل، بل إنها قد تتفوق عليه في إتقان بعض الأعمال.. ولكن الذي لا أشك فيه.. هو أن الرجل لا يستطيع بحال من الأحوال أن يقدم للعالم ما يمكن أن تقدمه المرأة ".

ويضيف قائلا:

" وكم يصدق هذا القول، لا على الحمل والولادة وتربية الأطفال، وإنما على عملية الحب في حد ذاتها، هذا الحب المخلص المتفاني الذي يكرس صاحبه كل حياته في سبيل أن يسعد من يحب. هذا الذي مازالت المرأة الطيبة توليه زوجها وابنها وأخاها وأباها.

ما أتعس العالم لو أن المرأة توقفت عن أن تحب. إن العالم يستطيع أن يستغني في بساطة ويسر عن جهد الطبيبات والمعلمات والمحاميات وعاملات الهاتف والكاتبات، ولكنه من دون الأمهات والمواسيات والحانيات على الفقير والمريض، من غير هؤلاء اللواتي يحببن في الإنسان خير ما فيه، من غير هؤلاء تكاد الحياة على هذه الأرض أن تكون مستحيلة. " (العويد، ج٤، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٧٦).

وإدراك أستاذة جامعية أمريكية لأهمية دورها تجاه طفليها، هو الذي دفع بها إلى ترك عملها في التدريس لتتفرغ للعناية بطفليها؛ لأنها وجدت أن كل ساعة ستمضيها في الجامعة ستكون على حساب طفليها وهي تقول:

" بعض الناس يقولون: لا يهم مدى الوقت الذي أمضيه مع طفلي،المهم هو نوعية

هذا الوقت. أنا أعلم بالطبع أن الوقت النوعي مهم، لكن من الصعب برمجة لحظات هذا الوقت النوعي؛ لأنها تحدث من تلقاء نفسها.. وعلى أي حال، هذا الوقت النوعي لا يحدث إلا حين نكون مع أطفالنا، أي حين نمضي معهم الوقت الكمي حين يكونون برفقتنا في المحال التجارية، في المطبخ، في السيارة... إلخ إن هذه كلها لحظات مختلفة في كل يوم تعيشيه فيها مع طفلك، وتشاطرينه قيمك ومفاهيمك. (العويد، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩، ج٤، ص ١٢-١٣).

ونجد لدينا أن الوعي بأهمية التعامل مع الطفولة مازال يقصر كثيرا عما هو مأمول. في حين نجد أن كثيرا من دول العالم تضعه في قمة الأولويات.

ويشير الدكتور مصطفى حجازي إلى أن أبرز نواحي قصورنا تبدو في الكتب والقصص والأفلام التي تقدم لأطفالنا، والتي هي في أصلها مستوردة أو مترجمة أو مقلدة لما هو في الغرب، دون إدراك لما تنقله إلى أطفالنا من قيم الحضارة الغربية من خلال ارتباطها برموز الحضارة الأوروبية الصناعية، إلى جانب آثارها في تعطيل العمليات العقلية العليا لدى الطفل. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٩).

وقد أجمع المختصون على أن المحتوى التربوي المقدم للأطفال في الوقت الحاضر لابد وأن يبنى على قيم الأصالة والإعداد للمستقبل، وذلك بالانطلاق من العقيدة، والانضباط بالقيم الإسلامية، مع العناية بالمضمون والحرص على استخدام الأساليب الجيدة. وقد أجمعوا على أن في مقدمة الاحتياجات الضرورية لتحقيق تنشئة صحيحة للطفولة هو " الاهتمام بتنمية شخصية الطفل وتزويده بثقافة عامة واسعة وغرس الثقة في الذات وتنمية المنهج العلمي والقدرة على التوافق والتكيف ومساعدة الطفل على اكتساب المهارة الإبداعية في التفكير. " (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٩).

كذلك ينبغي تحذير المرأة من التفريط في مسئولياتها تجاه أبنائها مما قد يؤدي إلى إفسادهم. فقد فهمت إحدى الصحابيات[1] أن إفساد الأبناء هو الوأد الخفي الذي عناه

(١) هي الصحابية عزة بنت مخايل.

الرسول ﷺ بقوله: " لا تزنيـن، ولا تسرقين، ولا تئدين، فتبدين أو تخفين " قالت: أما الوأد المبدي فقد عرفته، وأما الوأد الخفي فلم أسأل رسول ﷺ ولم يخبرني، وقد وقع في نفسي أنه إفسـاد الولد، فو الله لا أفسـد لي ولدا أبدا. " (ابن حجر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج ٣٦٣).

ولكن مع الأسف فإن كثيرا من الدراسات البحثية الحديثة، تشير إلى أن هناك مشكلات لدى الأبناء كالتخلف الدراسي والانحراف، وأنها مرتبطة إلى حد كبير بغياب الأم وانشغالها عن تربية أبنائها، وعدم وجود من يحل محلها في القيام بمسئولية الضبط الاجتماعي للنشء والذي يبدأ منذ الطفولـة. (خلاف، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٦٥)، وبعض الدراسات ترجع ذلك إلى الحرمان العاطفي من مشاعر الأمومة لدى الأبناء، وفتور العلاقة الوجدانية بين الأم وأبنائها نتيجة لانشغالها بالكثير من المسئوليات التي فرضتها عليها الحياة المعاصرة. (تقرير العائلة العربية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٣٩).

ويشير إلى ذلك محمد سلامة آدم حين يقرر بأن الأم العاملة لا تقوم إلا بجزء من رعاية الأبناء، خاصة في سن ما قبل المدرسة، وهي أهم فترة في حياة الطفل، كما أنها غير قادرة على توجيه الأطفال بصورة مناسبة نظرا لتشتت جهودها وعدم درايتها ووعيها الكافي بهذا المجال، إلى جانب أنها تجد صعوبة في متابعة دراسة أبنائها ومساعدتهم في المذاكرة، وذلك بسبب ضيق الوقت والإجهاد في أعمال المنزل. أيضا هي لا تتمكن من إشباع حاجة أطفالها إلى الحب والحنان خاصة في سنواتهم الأولى بسبب غيابها ساعات طويلة أثناء النهار. (آدم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٢٧٠).

وفي دراسة مقارنة قامت بها بثينة قنديل بين أبناء الأمهات العاملات وغير العاملات؛ وجدت أن أبناء الأمهات اللاتي يتغيبن لمدة خمس ساعات أكثر توافقا من أبناء من يتغيبن لمدة ثماني ساعات،سواء من حيث التكيف الشخصي أو الاجتماعي أو العام، وكذلك أكثر توافقا من أبناء غير العاملات مما يدل على أن من بين غير العاملات من يهملن في رعايتهن لأبنائهن. (همام في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٨١٢، ص ٥١-٥٢).

وترى الباحثة بأنه ليس من عذر لغير العاملة سوى الجهل الذي يجعلها تضيع أوقاتها سدى فتحرم نفسها وأبناءها من الإمكانات العظيمة التي أودعها الخالق لديها والتي

يمكن أن تسهم بها في الارتقاء بالإنسانية.

كذلك ينبغي تنمية الحس الأمني لدى المرأة بحيث تتمكن من تجنيب أبنائها كل ما من شأنه الإضرار بهم فكريا وجسديا وعقليا، ويدخل ضمن ذلك أشرطة الفيديو والكاسيت والكتب والمجلات والمحطات الفضائية التي يمكن أن تؤثر عليهم عقديا وخلقيا وفكريا.

أيضا ينبغي إعداد المرأة بما يمكنها من الإحسان في اختيار وسائل الترفيه المناسبة لأطفالها من كتب وقصص ورسوم وبرامج تلفازية وأشرطة فيديو وكاسيت وألعاب وغيرها.

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه في نفس المرأة المسلمة المعاصرة، هو الشدة التي يأخذ بها الإسلام من يسوق أولاده إلى الرذائل، فقد أخرج أبو دواد عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه قال: "دعتني أمي يوما ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا فقالت: تعال أعطيك، فقال لها الرسول ﷺ: "وما أردت أن تعطيه قالت: أعطيه تمرا، فقال لها رسول الله ﷺ: أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة. " (أبو داود، د.ت، ج٤، الأدب/ رقم ٤٩٩١، ص٢٩٨).

وقد ذكر علماء النفس أن السنوات الست الأولى من حياة الطفل تمثل سنوات التكوين التي ترسخ فيها شخصيته وذكاؤه لحياته المقبلة، والتي يتعلم فيها أكثر من أية فترة أخرى، حيث يصل نمو ذكائه، إلى ٥٠٪ قبل سن الرابعة ٨٠٪ في الثامنة. (ابن عمر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٩م، ص١٢).

ومن خلال التربية يمكن أن نغرس في نفس المرأة المسلمة المعاصرة حقيقة أن الإسلام جهاد دائم لتكون كلمة الله هي العليا، وأن مسئوليتها في هذا الجهاد كبيرة لأنها هي التي تنشئ رجال الغد ونساءه الذين يقومون بدورهم بأداء نصيبهم من الجهاد.

وفي الوقت الحاضر، نجد أن المرأة قد تضطر لكثرة الأولاد أو لانشغالها بالعمل خارج المنزل، أو لغير ذلك من الأسباب إلى إحضار خادمة تساعدها في إدارة شئون المنزل، أو إيداع أبنائها في دور الحضانة، أو لدى الجدات.

وهنا يفرض عليها الإحسان تجاه الأولاد أن تحسن اختيار **الخادمة**، بحيث تكون أمينة مرضية الخلق ملتزمة بالآداب الإسلامية، وأن تقصر عملها على شئون المنزل دون

تربية الأولاد التي تعتبر مسئوليتها بصفة خاصة. فقد جاء في الحديث قولهﷺ: " المرأة راعية على بيت بعلها وولده وهي مسئولة عنهم.." (مسلم، د.ت ج٣، الإمارة / ٥، ص١٤٥٩).

ونجد المرأة المسلمة المعاصرة في بعض الدول الغنية، تعهد إلى الخادمة بالأعمال المنزلية، وبتربية الأولاد، مما أدى إلى كثير من الآثار السلبية الناجمة عن الانتماءات الثقافية المختلفة للخادمات، ومن ثم أصبحت هذه الدول تتعرض لدرجة من النقل الحضاري؛ " أي إدخال أنماط سلوكية وعادات وتقاليد عن طريق الوافدين[1]." (الباز في المستقبل العربي، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ع ١٢٠، ص ١١٠).

فهذه الأسر قد أصبحت استهلاكية مستوردة إلى الدرجة التي أصبحت توكل فيها أهم مهمة لها إلى مربية مستوردة ممن الخارج.

أما دور **الحضانة**؛ فلأن غالبيتها تفتقد إلى الجو التربوي السليم، فإن مضارها أكثر من منافعها.

فالأم تنزع طفلها عن كيانها كل صباح، وتغالب فطرتها وهي تقاوم أمومتها لتلحق بعملها تاركة إياه لحاضنة، تتلقاه بمشاعر الأجير لا بمشاعر الأم الحنون، فتحاول تهدئته بأية وسيلة. وتسمي حنان لحام هؤلاء الأطفال بالأيتام وتعتبر فصلهم عن أمهاتهم القسري هذا بمثابة يتم صناعي، **حيث تقول في ذلك ما نصه:**

---

(١) في دراسة أعدتها وزارة الشئون الاجتماعية والعمل الكويتية عن أثر المربيات الأجنبيات على الأسرة الكويتية، خلصت الدراسة إلى أن غير المسلمات من الخادمات يشكلن ٥٥٪ من جملة عينة البحث التي تتكون من ٢٨٩ مربية، وأن ٨٦٪ منهن يعانين من الجهل (أمي – يقرأ ويكتب)، وفي تحقيق نشر حول رأي عدد من القانونين عن الحالات التي عايشوها أمام القضاء ذكروا من بين الحالات:

- خادمة قامت بإعطاء طفل مادة سامة لا يظهر أثرها سريعا بسبب إيذاء ربة البيت لها.
- خادمة تعرضت للتعذيب من ربة البيت فدافعت عن نفسها بما سبب عاهة للأخرى، وقد حوكمت الخادمة لعدم قدرتها على الدفاع عن نفسها.
- خادمة أحرقت نفسها للتخلص من عقاب مخدوميها.
- خادمة وضعت رضيعا في فرن الغاز بعد أن لفته بورق الألمونيوم.
- خادمة اشتكتها ربة المنزل إلى زوجها الذي قام بحرقها بسكين حار من رأسها إلى رجليها، وقد نجحت في الفرار، وحوكم الرجل وحصل في النهاية على البراءة.

(الخدم الوافدون.. في الشرق الأوسط، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٧٩).

" ولقد جاءت الوصية باليتيم دون تحديد لحالته المادية لأنه فقد أعز شيء في الدنيا: حنان الوالدين. ولئن وجد في الماضي يتم طبيعي.. فقد رأينا في عصرنا يتما صناعيا. ينتزع الطفل من والديه حرصا على المادة وزيادة الإنتاج، وتحت شعار التحرر الاقتصادي للمرأة..!! ويرمى بأجيال من الأطفال إلى محاضن جماعية.. إن توفرت فيها الرعاية المادية فإنها خاوية من حنان الأبوين ومن صدر الأم خاصة.. فمن لهذا اليتيم الجديد الضعيف؟! وكيف رضيت أمه أن تتخلى عنه وتسلمه إلى الأيدي الغريبة.. مقابل حفنة من مال؟! حقا لقد أصبح المال والإنتاج أغلى من الإنسان.." (لحام، من هدى سورة البقرة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٤٤٧).

ويؤكد كاريل على الخطأ الكبير الذي ارتكبه المجتمع المعاصر حين استبدل التربية الأسرية بدور الحضانة، وذلك حتى تتمكن النساء من الانصراف إلى أعمالهن أو هواياتهن أو كسلهن؛ ولذا فهو يعتبر المرأة المعاصرة هي المسئول الأول عن اختفاء وحدة الأسرة واجتماعاتها التي يتصل فيها الأطفال بالكبار، فيتعلمون منهم الكثير، حيث إن الطفل يشكل نشاطه الفسيولوجي والعقلي والعاطفي طبقا للقوالب الموجودة في محيطه... إذ أنه لا يتعلم إلا قليلا من الأطفال الذين في مثل سنه.(كاريل، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٣٥).

وأحيانا يمثل **الأجداد** الملجأ الوحيد للأم المعاصرة وذلك إما لندرة الخادمة، أو لقلة ذات اليد، أو غير ذلك من الأسباب، وهنا لابد من ملاحظة أن هذا لا يعني العودة إلى الأسرة الممتدة؛ حيث إن النمط الأسري هنا يختلف، ويصاحب ذلك اختلاف في القيم والسلوكيات.

ففي العائلة الممتدة تتم التنشئة من خلال عمل جماعي يتم ضمن إطار قيمي يحكم جميع أفراد الأسرة، في حين أن مساعدة الأجداد في الوقت الحاضر تأتي للضرورة، ودون تمسك بالقيم؛ لأنها لا تمثل عملا جماعيا، بل حل مؤقت لفترة غياب الأم. وتنبع الخطورة هنا من افتقار عملية التنشئة إلى نسق متسق بسبب تعدد مصادر السلطة، واختلاف اتجاهات القائمين بها، واختلاف أساليبهم في التعامل مع الأطفال، مما يخالف أساسيات عملية التربية، حيث نجد الأجداد عادة ما يميلون إلى تدليل الأحفاد على اعتبار أنهم ضيوف، في حين أن الوضع يختلف تماما في الأسرة الممتدة. كذلك نجد الأم تبالغ في غمر أطفالها بالحنان بعد عودتها من أجل تعويض فترة غيابها التي تجعلها تشعر بالذنب

لتقصيرها تجاههم، إضافة إلى ما قد يصيب الأطفال من ضغوط جراء عصبيتها. أيضا فإن الجدة قد تسهم في اكتساب أحفادها كثيرا من الانفعالات السلبية بسبب خوفها الشديد عليهم والتفرقة في المعاملة بينهم وبين الآخرين. فكل هذا التذبذب في معاملة الأبناء، يعود بأسوأ الآثار على بنائهم النفسي والعاطفي والسلوكي. (تقرير العائلة العربية: ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨، ص٣٧ - ابن عمر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص ٣٠-٣٧).

٢- مسئولية المرأة المسلمة المعاصرة خارج المنزل:

كان للمرأة المسلمة دور عظيم منذ اليوم الأول لدخولها في الإسلام، لكنها بعد ذلك تخلفت، فتخلف المجتمع كله تبعا لها، ثم أتيحت لها الفرصة للنهوض، فانحرفت عن أصالتها لتسير في تقليد أعمى محققة ما أخبر عنه الرسولﷺ: " لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم. قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن! " (البخاري ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج٨، الاعتصام / ١٤، ص ١٥١)، حتى أصبحت المرأة المسلمة المعاصرة - إلا من رحم الله - أحد **فئتين**: **فئة** أهمل تعليمها فجهلت، وعجزت عن أداء واجب الإحسان تجاه نفسها فضلا عن غيرها، فهي كائن مسلوب الإرادة، تتميز بالتردد وعدم الجرأة في الحق، تتقاعس عن أداء الواجبات، وتعتذر عنها بشتى الأعذار التي تزيد من وهن عزيمتها، يعوقها الخوف من سخط الناس عن الإقدام، وتندفع في أعمالها بفوضى وارتجال بعيدا عن التخطيط، وتتفنن في بعثرة الوقت والجهد والمال.

أما **الفئة الثانية**، فقد أتيحت لها الفرصة للتعلم، لكنها انجرفت وراء تقاليد الشرق والغرب في التحرر والمطالبة بالمساواة مع الرجل دون وعي كاف بإسلامها. وقد أعمتها تلك التبعية عن إدراك عظمة دينها فراحت تهاجمه مع من يهاجم، وتتحدث عن ظلمه للمرأة في الميراث، والشهادة، وتهاجم الحجاب، في حين أنها لا تحرك ساكنا تجاه القوانين الوضعية المستوردة التي تسهم في إشاعة الفساد في المجتمع.

ونجد أن وقائع تاريخ الحضارات تعطي كثيرا من الأمثلة التي تؤيد القول بأن النظرة إلى المرأة تؤثر في ازدهار وانحطاط الحضارات، حتى أن بعض الدارسين لتطور هذه الحضارات يعتبرون أن العامل الأول في انحطاط وازدهار الحضارات هو درجة اعتزال المرأة للمجتمع والحياة العامة، ودرجة علو مركزها في العائلة والمجتمع أو تدنيه،

كما يعتبرون أن في بدء كل بعث حضاري؛ هناك وجود كامل للمرأة وفعالية كبيرة لإسهامها.(الإنماء التربوي، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، ص ٣٢ – ٣٣).

وهذا القول ينطبق على الحضارة الإسلامية التي أبدعها أفراد خير أمة أخرجت للناس، بعد أن نهضوا من جاهليتهم بفضل الإسلام الذي حرر الناس من عبودية البشر والأشياء وربطهم بخالقهم، فكان أن شعرت المرأة بحقيقة مكانتها في الكون: خليفة لها دور في عمارة الكون، فقامت مشمرة عن ساعديها لتسهم في جميع المجالات التي تتناسب مع مؤهلاتها وإمكاناتها، فكان لها أثرها في مجالات الدعوة والجهاد وكل ما يمكنها الإسهام به من أنشطة اجتماعية، وكانت في الوقت نفسه تباشر مسئولياتها الأساسية في رعاية أسرتها وتدبير شئون بيتها.

وفي ظل التخلف الذي يعشش بخيوطه في كثير من أرجاء العالم الإسلامي، فإنه ينبغي على التربية أن تعد المرأة المسلمة المعاصرة بما يؤهلها لاستئناف دورها في بناء الحياة الإسلامية المرجوة، والارتقاء بوضع المجتمع الإسلامي الذي يعاني في كثير من أجزائه من الثالوث المدمر: الفقر والجهل والمرض، والعمل من أجل مستقبل أفضل ينتظم الإنسانية جمعاء.

ونجد القرآن الكريم يثبت الولاية المطلقة بين المؤمنين، ويدخل ضمن ذلك ولاية الأخوة والمودة والتعاون المالي والاجتماعي: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة].

وسوف نتحدث فيما يلي عن كيفية تحقيق ولاية المرأة للمجتمع من خلال إسهامها في أنشطته المختلفة، وفي تحقيق التكافل الاجتماعي، وفي تزكية البيئة الاجتماعية.

أ- الإسهام في الأنشطة الاجتماعية:

النشاط الاجتماعي ميدان يتسع لكثير من الأعمال الصالحة التي جعلها الإسلام قرينة للإيمان، ومن خلال التربية يمكن توجيه المرأة إلى ألوان الأنشطة التي يمكن أن تشارك بها في الارتقاء بوضع المجتمع، عبر مراحل حياتها المختلفة، وتربيتها بما يغرس في نفسها القيم الإسلامية المصاحبة لتلك الأنشطة، خاصة إذا ما اقتضى الأمر لقاء الرجال الأجانب.

وكذلك العمل على توعية أفراد المجتمع المسلم بأهمية تهيئة الأسباب التي تساعد المرأة المسلمة المعاصرة على الإحسان في أدائها لمسئولياتها تجاه المجتمع، من حيث التخطيط والتنظيم والتنفيذ.

وينبهنا القرآن الكريم من خلال قصة مريم إلى الإمكانات والمواهب التي تملكها المرأة، وإلى قدرتها على القيام بجلائل الأعمال إذا ما أعدت لذلك. فامرأة عمران قد نذرت وليدها ليكون عاملا في الإصلاح الاجتماعي، لكن إرادة الله شاءت أن يهبها أنثى بدلا عن الذكر الذي تمنته؛ فكانت هذه الأنثى هي مربية عيسى عليه السلام الذي جاء معجزة في خلقه.

ومن بين المجالات التي يمكن للمرأة المسلمة المعاصرة أن تطرقها: **التعليم**؛ تعلما وتعليما وتوجيها وإدارة، و**الجمعيات الخيرية**؛ مشاركة وقيادة وتوجيها ومحاضرة، و**المناسبات العامة**؛ نصحا وإرشادا وتوعية ودعوة باستخدام كافة الوسائل المتاحة، و**المباح من الإعلام، والتأليف**. فهذه المجالات هي مجالات حيادية تفسد أو تصلح تبعا لمن يديرها، ومن ثم فإنها يمكن أن تكون خطوات فاعلة ومؤثرة في الواقع.

وهناك أيضا المؤتمرات والملتقيات والندوات التي يمكن أن تسهم فيها المرأة المسلمة المعاصرة، لتؤكد تميز الطرح الإسلامي عن غيره. فالتمييز ضد المرأة، والجهل والفقر والمرض، وعدم المساواة في الأجر مثلا؛ كلها من الأمور التي تتعارض مع عدل الإسلام الذي جاء بالقوانين المنظمة لحياة الإنسان على وجه الأرض بما يزيل عن واقعه ما فيه من سلبيات بصورة تحفظ للإنسان كرامته وإنسانيته.

ب- الإسهام في إحياء التكافل الاجتماعي:

تعد إعانة المسلم لأخيه المسلم، من أفضل الأعمال التي ينال عليها الإنسان ثوابا جزيلا. ويشير إلى ذلك قوله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة. ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه. " (مسلم، د.ت، ج٤، الذكر / ١١، ص ٢٠٧٤).

فنبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية الشعور بارتباطها بإخوتها المسلمين، وتنمية ما لديها من قدرات ومهارات واتجاهات تمكنها من مناصرتهم، ومن ذلك تربيتها على الإيثار، والتعاون، والحب، والنظام، والعدل، والرضى، والقناعة، وغيرها من الصفات الإيجابية التي تساعد في القضاء على الولاءات الضيقة من حزبية، وإقليمية، وعصبية، والتي أوجدتها عصور الركود والجمود، لتزيد من غفلة المسلمين عن واجبهم تجاه بعضهم البعض.

إن واقع المسلمين يشير إلى هذا التفكك والانعزال بلا تعاون، فالمسلمون يعانون من كل نقص، وليس فيهم من قوة إلا في اللسان الذي يهب إما مستجديا أو مستصرخا، أو مادحا، وليس مدافعا أو عاملا من أجل خير نفسه وأمته؛ ولذلك حلت بهم الأمراض الخطيرة التي أدت إلى انهيارهم، فأصبحوا يعانون من الانحراف العقدي، والمجتمع المتفسخ، وانعدام التفكير، والكثرة الغثاء، والاقتصاد المتردي رغم كثرة أموالهم، والأمية، والعادات والتقاليد غير الإسلامية، وأهم من ذلك عدم إدراكهم لحقيقة كونهم مرضى " لأنهم يحسبون أنفسهم أصحاء ويظنون الأصحاء مرضى. " (حقي، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، ص٣٩-٤٠).

ونجد القرآن الكريم من خلال حثه على معونة المسلمين بعضهم لبعض، يعتبر المقصر في ذلك " مكذبا بالدين "، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ [الماعون].

ويشير ابن كثير إلى أن المقصودين بالآية هم الذي لا يحسنون في عبادة ربهم، ولا في أداء حق خلقه لديهم، فهم يمنعون ما يستفاد به مما يعود إليهم، وقد ذكر ابن مسعود أن الماعون " هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك. " (ابن كثير، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، ج٤، ص ٥٥٩).

ويرى د. الكيلاني بأن الماعون يتغير ويتطور، وتتطور رموزه، بتغير البيئات. وأنه في وقتنا الحاضر يمكن أن يكون توفيرا للزواج، أو للمسكن أو للوظيفة وغير ذلك مما يعين الإنسان في الحصول على حاجاته المادية والمعنوية. (الكيلاني، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ص ٢٨٦).

فينبغي على التربية أن تعمل على تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الابتلاءات التي يتعرض لها المسلمون في أنحاء العالم، وتوجهها إلى إمكانية إسهامها في التخفيف عنهم. وأهم ما ينبغي توجيهها إليه؛ الغزو الفكري الذي يفتك بالمسلمين عبر العالم كله، بحيث تعدها لمواجهته وتوفر لها الإمكانيات اللازمة.

فالغزو الفكري قد كرس له أمهر المختصين في ميادين النفس والاجتماع، وتبدو خطورته بالنسبة للمرأة باعتبارها المشرفة على الصياغة الفكرية والنفسية للأجيال الناشئة، مما يشعر بخطورة موقعها ومدى ما تمتلكه من قدرات على الإسهام في أحداث التاريخ. لكن الواقع يشير إلى أن المرأة المسلمة تعيش فتورا وتراخيا بحيث تمر السنون، ووضع العالم الإسلامي لا يتغير لأن مربيته لم تتغير، حيث مازالت نظرتها إلى نفسها ونظرة غيرها إليها على أنها مجرد دمية أو جارية. فهي غافلة عما وهبها الله من إمكانيات التأثير: " ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب للب الرجل الحازم منكن. " (لحام، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ٢٢٧).

والصراع الفكري يحتاج إلى صفات نفسية معينة من الفطنة والحذر والشجاعة، والثبات أمام التهديدات. لكن مسلمة اليوم بعيدة عن كل هذا، تمر بها الآيات تحذرها من الأعداء أو تدعوها إلى مواجهتهم، فلا تقف عندها وكأنها موجهة إلى الرجل فقط.

وهذا ما جعل المرأة المسلمة المعاصرة ألعوبة في يد الرجل يلهو بها كيف يشاء، في حين نجد كثيرا من نساء العالم يبذلن أرواحهن في سبيل المبادئ التي يؤمن بها. فهذه (جولدا مائير) التي كانت رئيسة لوزراء إسرائيل ما بين ١٣٨٩ – ١٣٩٩هـ/ ١٩٦٩ – ١٩٧٩م تقول في مذكراتها:

" لقد شعرت أن الرد الوحيد على قتل اليهود في أوكرانيا هو أرض فلسطين، يجب أن يكون لليهود أرض خاصة بهم، وعلي أن أساعد في تحقيق هذا، لا بالخطب والتبرعات، بل الحياة والعمل هناك معهم في أرض فلسطين ... ... لقد كانت مسألة العمل في حركة العمل الصهيوني، تجبرني على الإخلاص لها ونسيان همومي كلها، وأعتقد أن هذا الوضع

لم يتغير طيلة مجرى حياتي في الستة عقـود التالية." (الصويان في البيان، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ٨٨، ص ١٠٧).

ج- الإسهام في تزكية البيئة الاجتماعية:

ويتحقق ذلك من خلال المرأة نفسها، بحيث تعمل التربية على تربيتها على القيم الخلقية المستمدة من القرآن الكريم والسنة، لنتمكن من تحقيق عبوديتها الكاملة لله، ومن ثم تنتفي من حياتها الازدواجية التي تجعلها تلتزم بالقيم وفقا لأهواء ذاتية ومصالح آنية.

ثم تتجه بها التربية نحو البيئة من حولها لتوجهها إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتبني لديها الاتجاه نحو محاسبة النفس على التقصير فيه، محاسبتها على التقصير في الفرائض الثابتة.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمثل نوعا من أنواع الجهاد المهمة في كل زمان ومكان. وتبرز أهميته على الأخص في عصرنا الحاضر الذي أصبحت فيه الأفكار والمذاهب تغزونا في عقر دورنا من خلال وسائل الإعلام الحديثة، في حين ما زلنا غير مؤهلين لمواجهتها. فهذه الأفكار تمثل تلوثا فكريا لا يقل خطورة عن التلوث المادي. وكلاهما يحتاج إلى مقاومة.

وقد أشار ابن تيمية إلى أن الأمر بالمعروف يحتاج إلى ثلاثة شروط: العلم قبله، والرفق معه، والصبر بعده. وحينما تحدث عن الهجرة والجهاد، ذكر أن المهاجر هو من هجر ما نهى الله عنه، وأن المجاهد هو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.. (لحام، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ٣٠١).

وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثلاث مراحل متدرجة، أشار إليها قوله ﷺ فيما رواه أبـو سعيد رضي الله عنه: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيـده فإن لم يستطع فبلسانه، فـإن لم يـستطـع فبقلبـه وذلـك أضعـف الإيمـان." (مـسلم، د.ت، ج١، الإيـمان / ٢٠، ص ٦٩)، فالمرحلة الأولى هي الأعلى وتكون باليد، والمرحلة الأخيرة هي الأدنى، وتكون باللسان وليس بعد ذلك إيمان.

وهذه المراحل الثلاث مرتبة منطقيا، فكل واحدة تحتاج إلى ما قبلها، ونجد أن لكل فرد دائرة معينة يمكنه أن يمارس من خلالها التغيير الفعلي مستخدما المراحل الثلاث.

ويشير قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠] ، إلى اتساع دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحيث تتجاوز العصبيات والإقليميات لتعم البشرية جمعاء، الأمر الذي يسهم في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع كله؛ وذلك لأن كتمان العلم يعتبر جريمة كبيرة يتوعد عليها القرآن بأشد العذاب: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩] ويحث على نشره ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾[1] [آل عمران:١٨٧].

لذا فإن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لابد أن تتوفر فيه شروط معينة أشار إليها الشيخ محمد رشيد رضا وهي:

١-**العلم**: بما يدعو إليه (أي دراسة الإسلام وفهمه).

٢-**العلم**: بمفاهيم المدعوين وحالهم، أي القيام بعملية مسح لمفاهيم الناس والفرق الموجودة.

٣-**علم التاريخ**: فكرة عامة عن تاريخ الأمم ولا سيما التي سيمارس فيها الدعوة.

٤-**علم الجغرافيا**: لمعرفة البلدان وما يجاورها ومصادر الثروة فيها.

٥-**علم النفس**: كي يستعين به في التوجيه والتأثير.

٦-**علم الأخلاق**.

٧-**علم السياسة**: ما هي سياسة البلد؟

٨-**علم الاجتماع**: قوانين النهضة والانهيار في الأمم.

٩-**علم اللغات**: فلا بد أن يبلغ الدعوة بلغة الأمة.

١٠- العلم بالفنون والعلوم المتداولة في الأمم المدعوة.

١١- معرفة ملل ونحل ومذاهب الأمم المدعوة.

---

(١) إن تقصيرنا في عرض ديننا قد جعل النابهين من الأمم الأخرى في غفلة عنه؛ لذلك وجدناهم حينما اهتموا بالمرأة ودرسوا ثقافات الأمم الأخرى عنها، قد صنفوا البوذية ضمن الأديان الرئيسية في العالم إلى جانب المسيحية واليهودية، في حين صنفوا الإسلام ضمن الأديان الشرفية إلى جانب الديانات الوضعية: الهندوسية والبوذية والمسيح. (University of Ottawa, 1992-1993-p11).

openkandil.com

(رشيد رضا، د.ت، ج٤، ص٣٩ – ٤٤)

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جزء من العمل الصالح الذي هو قرين للإيمان. وهو تكليف غير يسير لاصطدامه بشهوات النفس ومصالحها وأمزجتها، وهو مطلوب من الأمة كلها رجالا ونساء: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١] لذا فهو يحتاج إلى إعداد المرأة والرجل لتمكين كل منهما من أداء دوره، ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال:٦٠].

فلا بد من الاهتمام بتأهيل المرأة المسلمة المعاصرة لأداء مسئوليتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأهيلا يتناسب مع تطور العصر الحديث حيث تطور العلم، وتطورت أساليب التخطيط والتنظيم، والدعاية والإعلام، والاقتصاد، وأصبح كل منها فنا قائما بذاته. وقبل كل ذلك هي تحتاج إلى دراسة متعمقة في آيات الأنفس من أجل التمكن من مخاطبة الناس على قدر عقولهم. يقول الرسول ﷺ: " أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم."(السيوطي، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ٥٥).

فمن الناس من يفهم بالإشارة ومنهم من لا يفهم إلا بصريح العبارة. وقد ورد عن الصحابي أنس بن مالك رضي الله عنه أنه خدم النبي ﷺ عشر سنين فما قال لشيء فعله لم فعلته أو العكس. وهذا يشير إلى أن نفسية أنس رضي الله عنه من النوع الذي لا يحتاج إلى تنبيه مباشر. (مسلم، د.ت، ج٤، الفضائل / ١٣، ص١٨٠٥).

سابعا: قضايا اجتماعيةينبغي على التربية أن تعمل على توعية المرأة المسلمة المعاصرة بها:

فيما يلي أهم الموضوعات التي يجب على التربية أن تنمي وعي المرأة المسلمة المعاصرة بها حتى لا تنخدع بأفكار الآخرين، ولتدرك حقيقة وضعها المتميز في ظل الإسلام، وتتعرف على واجباتها ومسئولياتها الاجتماعية لتقوم بها عن رضا وقناعة يمنعانها من الانخداع بأفكار الآخرين والانجراف وراءهم.

١- التكامل بين النوعين:

تشير آيات الخلافة إلى المساواة الكاملة التي جعلها الله سبحانه وتعالى بين النوعين – الذكر والأنثى – حيث إن مهمة الخلافة قد أوكلت إلى الإنسان في عمومه دون تحديد بنوع

دون آخر. ثم تجيء نصوص القرآن الكريم والسنة بعد ذلك لتوضح أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الإنسان على نوعين كل منهما من أجل الآخر، فالرجل نعمة على المرأة، والمرأة نعمة على الرجل ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧].

فهما متساويان مساواة تكامل، وليسا متشابهين، والأصل هو الإنسان الذي يتنوع إلى ذكر وأنثى؛ لذلك نجد نصوص القرآن الكريم والسنة تخاطب المرأة من خلال وصفين اثنين؛ عام وخاص.

فالوصف العام يتمثل في كونها إنسانا مثلها في ذلك مثل الرجل، فنجد الخطاب الواحد يشمل كلا من الذكر والأنثى، مثل يا أيها الناس، ....، يا أيها الذين آمنوا. أما **الوصف الخاص** فيتمثل في كونها أنثى تتميز عن الرجل بأنوثتها، فنجد الخطاب يتوجه إليها خاصة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب]

وبالنظر إلى التاريخ، نجد أن المرأة قد نالت صنوفا من الهوان، لاعتقاد الناس بأنها أقل مرتبة من الرجل، مما دفع بهم إلى ازدرائها واحتقارها، لدرجة أن البعض قد اعتبرها شرا ورجسا، حتى وجدنا من الجاهليين من كان يعمد إلى دفنها وهي حية، تشاؤما منها أو تخففا من مؤنتها. وكان من بينهم من يحاول أن يواري نفسه من الآخرين استحياء مما لحقه من عار بولادتها، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [النحل].

لكن رحمة الله سبحانه وتعالى، قد جاءت بتصحيح تلك التصورات، والارتقاء بنظرة المجتمع للمرأة، إلى المستوى اللائق بها باعتبارها أحد نوعي الإنسان الذي كرمه الله، فحرم وأدها، وأمر بتكريمها.

يقول عمر بن الخطاب ﷺ: (والله إنا كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم). (النووي، د.ت، ج١٠، ص ٨٥).

ونجد نصوص السنة النبوية تؤكد على هذه المساواة، وترغب الناس فيها حين تجعل ثواب الإحسان إلى الأنثى هو الجنة والقرب من الرسول ﷺ. ومن هذه النصوص

قوله ﷺ:" من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها، ولم يؤثر ولده – الذكور – عليها أدخله الله الجنة." (أبوداود، د.ت، ج٤، الأدب / رقم ٥١٤٦، ص ٣٣٧)، وقوله ﷺ:" اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم كما تحبون أن يبروكم."(العجلوني، د.ت، ج١، ص٤٣)، وقوله ﷺ: (سووا بين أولادكم في العطية فلو كنت مفضلا أحدا لفضلت النساء."(المتقي، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ج٦، ص٤٣٤)، وقوله ﷺ: "من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين، وضم أصابعه " (مسلم، د.ت، ج٤، البر/ ٤٦، ص ٢٠٢٧ – ٢٠٢٨).

لذلك وجدنا بعض النساء في الغرب قد أعجبن بالإسلام حينما عرفن حقيقة نظرته للمرأة، ومنهن من دفعها ذلك الإعجاب إلى اعتناق الإسلام، من هؤلاء النسوة؛ إيبياك مودوادي ساروك التي خاطبت النساء قائلة:

" أما أنتن أيتها النساء فاقتربن من الإسلام، لأن محمدا ﷺ وحده حمى المرأة وعزز مكانتها، وحررها من رقابة الرجل، وبينما كان الغرب يستأسد على المرأة الضعيفة، ويجعلها كالسلعة تباع وتشترى؛ كان محمد ينادي بمساواة المرأة مع الرجل." (معبر، د.ت، ص ٣٤).

وفي ندوة نظمها المجلس البابوي للحفاظ على العائلة في روما؛ نوقشت فيها موضوعات قدسية الأسرة والأخلاق الإنسانية وسبل المحافظة على حياة المرضى والأحبة، قالت (فيليس باومان) مديرة الجمعية البريطانية لحماية الأحبة ما نصه:

" ليس صحيحا أن المرأة المسلمة هي مواطنة من الدرجة الثانية في الإسلام، ولكن الحقيقة أن الرجال المسلمين هم أكثر حفاظا على نسائهم منا) (المسلمون أكثر حفاظا.. في المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٦٠).

وهؤلاء الذين أدركوا ما تنعم به المرأة المسلمة من مكانة سامية في ظل الإسلام، قد أدركوا أيضا تناقض الحركة النسائية الغربية مع نفسها، حيث إنها تطالب بمساواة المرأة مع الرجل في ذات الوقت الذي تفرق فيه بين النساء بعضهن البعض، ومن الأمثلة على ذلك أن المرأة السوداء الغربية تنال أجورا أقل، وتكلف بأعمال بسيطة لا تتطلب مهارة مقارنة بالمرأة البيضاء. (ليسلي وولف في المجلة العربية للتربية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ع ١، ص ٢٧٦).

ونجد نصوص القرآن والسنة تشير إلى المساواة بين الذكر والأنثى في التكاليف التي كلفا بها. فبعد أن أسكن الله آدم وزوجه الجنة، خاطبهما معا بالأمر والنهي: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة] وحينما أكلا من الشجرة، قال لهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف:٢٢].

ثم تأتي النصوص بعد ذلك لتخاطبهما على درجة واحدة في معظم التكاليف، كالإيمان بالله، وتحقيق العبودية، وأداء التكاليف الشرعية، ورفع المرأة إلى مقام الولاية المتبادلة مع الرجل، وإشراكها معه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكليفها معه بحمل الأمانة فيما عهد به إلى الإنسان من عمارة الأرض وفق سنن الله وقوانينه. ومن بين النصوص التي جاءت في ذلك، قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة]

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل] وقوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ﴾ [آل عمران:١٩٥].

فهناك مسئوليات تحملها المرأة مثلها في ذلك مثل الرجل، ثم تجازى عليها في الدنيا والآخرة مثلها في ذلك مثل الرجل أيضا، فلا أحد يتحمل عنها القيام بمسئولياتها إذا ما تخلت عنها، ولا أحد يتحمل عنها الجزاء المترتب عليها؛ ولذلك وجدنا الرسول ﷺ يأخذ على النساء بيعة مستقلة، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الممتحنة].

ومن مظاهر المساواة بين النوعين ما يلي:

أ - المساواة في الأهلية الاقتصادية:

خلافا لما كانت عليه الأمم السابقة من حرمان للمرأة من حق التملك والتضييق عليها في التصرف بمالها؛ شرع الإسلام لها الإرث والوصية مثل الرجل، وزاد في تكريمها حين شرع لها المهر والنفقة حتى وإن كانت غنية. ولها أيضا جميع الحقوق المتعلقة بالتصرفات المالية من بيع وشراء وتأجير وهبة وصدقة وحق الدفاع عن مالها وغيره، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

فالآيات لم تفرق بين ذكر وأنثى في حرية التصرف المالي، كما أنها لم تفرق بينهما في حثهما على البذل والعطاء في سبيل الله، خاصة إذا ما كانت المرأة ذات كسب يعينها على الإسهام بمالها في رقي مجتمعها.

وقد ورد في السنة أن رسول الله ﷺ؛ "خرج يوم أضحى أو فطر، فصلى ركعتين ... ثم أتى النساء ومعه بلال فأمرهن بالصدقة. فجعلت المرأة تلقي خرصها وتلقي سخابها.[1] (مسلم، د.ت، العيدين / ٢، ص٦٠٦).

فالحديث يدل على أن للمرأة أن تتصدق بمالها دون وصاية من أحد.

وللمرأة كذلك أن تتصرف بالعطية من مالها في حدود الثلث، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء:١٢].

فجواز تصرف المرأة في مالها بعد وفاتها أدعى إلى جواز تصرفها فيه في حياتها.

وقد ناقشت نور قاروت هذا الموضوع من الناحية الفقهية، ووصلت إلى ترجيح تصرف المرأة في جميع مالها بالتبرع؛ وأن ما جاء من منع في بعض الأحاديث إنما يحمل على المرأة السفيهة غير الرشيدة، وقد يكون من باب إحسان العشرة بين الزوجين، وعللت ذلك بأسباب منها القاعدة الفقهية القائلة: بأن "الأصل بقاء ما كان على ما كان "، والأصل هنا يتمثل في إطلاق تصرف المرأة في أموالها ويبقي الأمر على ذلك بعد زواجها فليس للزوج أمر في المنع.

لكن واقع المجتمعات الإسلامية اليوم، يشير إلى تغلب النزعة المادية و الأنانية على

---

(١) **سخابها**: قلادة من طيب معجون على هيئه الخرز، يكون من مسك أو قرنفل أو غيرهما من الطيب، ليس فيه شيء من الجوهر. (النووى في مسلم، د.ت، العيدين / ٢، ص٦٠٦).

القيم الأخلاقية لدى كثير من الرجال، الأمر الذي جعل لمال الزوجة أثرا سلبيا على الحياة الزوجية؛ منبعه تطلع الزوج إلى مال زوجته، أو تطلعه إلى مشاركتها له في الصرف على المنزل من أجل ضمان مستوى معيشي راق، أو غيره من الأسباب. وهكذا شاع في كثير من البيئات الإسلامية اليوم -وخاصة بعد دخول المرأة إلى ميدان العمل- إسهام الزوجة في الصرف على المنزل، وقيام الأزواج بأخذ مال زوجاتهم أحيانا كله، وفي الغالب معظمه دون رضاها.

وهنا يأتي دور التربية في إعدادها للرجل المسلم؛ بحيث توضح له موقف الإسلام من إيذاء المسلم لأخيه في ماله أو دمه أو عرضه. فقد خطب رسول اللهﷺ في يوم عرفة فقال:" فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ..." (البخاري،١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م، الحج / ١٣٢، ص ١٩١).

فالحديث يشير إلى أن هذا الفعل من أمر الجاهلية، وفيه وعيد يشمل أموال المسلمين عامه، والزوجات اللاتي أمر الأزواج بالإحسان إليهن أولى بذلك. لكن قيام الرجل بأخذ مال زوجته؛ يدل على ضعف إيمانه الذي جعله يتجرأ على المرأة وهي ضعيفة لاعتقاده بأنها لن تنال منه تحرجا، أو لغير ذلك من الأسباب.(قاروت، ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م، ص٢٦٥).

ونذكر هنا الحكم الفقهي في هذا الموضوع الذي انتشر كثيرا بين الناس في وقتنا الحاضر؛ ليتنبه إليه كل واقع فيه من الأباء والأزواج.فقد أشار الصنعاني إلى أن الشرع قد أنصف المرأة وألزم الزوج برد ما يأخذه من مالها. فإن عاد عوقب من قبل ولي الأمر. كما أن للمرأة أن تقاضي زوجها في ذلك كغيره من الغرماء، ولها طلب حبسه في مالها إن ماطلها. روي عن الرسولﷺ أنه قال:"لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه". (قاروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٦٥-٢٦٦).

ب- المساواة في الحقوق:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة:٢٢٨] فهذه الآية؛ تنطق بالمساواة بين النوعين في جميع الحقوق، عدا الدرجة التي أشارت إليها الآية التي تمثل ميزانا يزن به الرجل معاملته لزوجته في جميع الشئون، بحيث إذا ما طلب منها أمرا؛ فإن عليه القيام إزائها بمثله، والمثل هنا في الكفاءة، وليس في الأعيان؛ فالنوعان

مثماثلان في الحقوق والأعمال، مثل تماثلهما في الذات والشعور والإحساس والعقل، وليس من العدل أن يتحكم أحدهما في الآخر، فيتخذه عبدا يستذله لمصالحه. (رشيد رضا، د.ت، ج ٢، ص٣٧٥).

لكن واقع حياة المرأة المسلمة؛ يشير إلى أنها سرعان ما حرمت كثيرا من حقوقها، فحرمت من مزاولة أساسيات الحياة، وأصبح الحديث عن بعض الحقوق يتم وكأنها لم تثبت؛ مثل حقها في الإجارة للمستجير، وحقها في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغيره.

وقد انعكس أثر ذلك على المرأة؛ حيث أضعف من قدرتها على التفاعل مع المجتمع، أو الاعتماد على نفسها في مواجهة الشدائد، خاصة في مجتمعات المهجر التي تتعرض فيها المرأة لأبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي[1] .

لقد عجز المسلمون المعاصرون عن تقديم نموذج إسلامي جيد لمعاملة المرأة وكفالة حقوقها التي منحها إياها الإسلام حين حرموها كثيرا منها. ونجد المؤلفات تسهب في الحديث عن تلك الحقوق، وتكتفي بذلك في حثها المرأة على الاعتزاز بانتمائها إلى الإسلام؛ لكنها تغفل عن الظلم الكبير الذي وقع عليها عبر التاريخ، والذي ما زالت تعاني منه في كثير من المجتمعات، وهو يتفاوت في الشدة ويختلف في الشكل من مجتمع لآخر، وتغفل أيضا تحليل الأسباب، ومحاولة تصحيح الأوضاع. بل نجد أن البعض قد حاد عن الصراط، فبدلا من تصويب الأخطاء عمد إلى تقليد المستورد انبهارا بالغرب، فكان أن زاد وضع المرأة انتكاسا وهبوطا؛ لأنها تطرفت في مبدأ المساواة، فلم تعد قادرة على إدراك ما يفيدها مما يضرها، ومن ثم سعت إلى تقليد الرجل في كل شيء، ابتداء من الزي والملبس إلى طرق التفكير والتفاعل مع الأحداث. وكل ذلك بسبب قناعتها الذاتية

(١) تعرضت حوالي ٥٠ ألف سيدة في البوسنة للاعتداءات الجسدية. وقد ذكرت طبيبة نفسية أمريكية زارت مستشفيات سراييفو؛ أن الصورة أبشع من السماع، حيث ترفض غالبية النساء المساعدة القانونية والنفسية ، وإذا ما قبلن؛ فإنهن لا يحصلن على فائدة، حيث كان المترجمون يلعبون دورا مشكوكا فيه لصالح الصرب. وكانت الطبيبة قد تعرضت للاغتصاب من قبل، فقاومت حتى أفلتت، لكنها عاشت في رعب حتى قبضت الشرطة على الجاني بعد ثلاث سنوات، وقد دفعتها تجربتها للسفر إلى البوسنة للمشاركة في العلاج النفسى للنساء المسلمات المغتصبات، كما دفعتها إلى الوقوف بشدة وراء مشروع قانون قدم إلى الكونجرس الأمريكي لاعتبار الاغتصاب جريمة حرب.(مؤتمر المرأة المهاجرة في زهرة الخليج، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م،ع ٨١٧، ص ٣٢).

بأن هذه هي المساواة.

والمرأة المسلمة المعاصرة حين تطالب بالمساواة بالمفهوم الغربي لا تنتبه إلى أن هذه المساواة تمس الأمور المادية فقط دون المعنوية، وشتان بين الاثنين.

وتوضح باسمة كيال الفرق بين المساواة المادية والمعنوية حيث تقول ما نصه:

"إن أول ما تطالب به المرأة العصرية هو المساواة مع الرجل، ويبدو أن ذلك يعبر عن عدم ارتياحها العام، حيث لا تتضح في ذهنها صورة المساواة المطلوبة، ففتاة اليوم تجد أن مظاهر المساواة تتمثل في تحمل أعباء المنزل من قبل الرجل بالتساوي معها، وأخذ نصيبها من العمل خارج المنزل مثل الرجل. وهي تنسى أن المساواة المادية لا تؤدى بالضرورة إلى المساواة المعنوية، فقيامها بنفس أعمال الرجل لا يكسبها نفس الرضا الذي يشعر به الرجل من القيام بالعمل نفسه.

وأبرز مثال على ذلك؛ أن البرامج التي تعجب الرجل في التلفاز، أو استمتاعه بمشاهدة كرة القدم لا تعجب المرأة، فالمرأة العصرية ليست عادلة بحق نفسها إذا طلبت التساوي مع الرجل في الأعمال، والأفضل لها أن تطلب لنفسها فرصا متساوية مع الرجل، كي تعمل ما تشعر بأنه يرضي ذاتها ويحقق طبيعتها وخلقها.."

وتضيف كيال، بأن تبسيط المرأة لفكرة المساواة في أنها لا تختلف عن الرجل إلا في الإنجاب يسيء إليها ولا يخدمها؛ لأنها في حقيقة الأمر تختلف عن الرجل من حيث تكوين دماغها، فلا بد أن تدرك أن المساواة الكاملة إنما تأتي: ".. عن طريق تطوير وتنمية قدراتها الكاملة كمخلوق بشري مثلها في هذا مثل الرجل تماما) . (كيال، ١٤٠١هـ / ١٩٨١، ص ٢٠١-٢٠٢).

ويلفت خان الأذهان إلى أن طرق المرأة المعاصرة لجميع مجالات عمل الرجل لم يجعلها تحصل على وضع مماثل له في تلك المواقع فقط، بل إنه إلى جانب ذلك، قد تسبب في ظهور مشكلات أخلاقية، واجتماعية خطيرة. (خان، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٦٣).

إنه ما من شك في ضرورة النهوض بوضع المرأة المسلمة لدينا، ولكن نهضة إسلامية مشرفة على غرار ما حدث في صدر الإسلام، حيث كانت الجاهلية العربية مشابهة للجاهلية المعاصرة، لا سوداء مظلمة على النمط الغربي.

ومن خلال التربية يمكن تنمية وعي المرأة المسلمة المعاصرة بالعدل الحقيقي الذي نعمت به في ظل الإسلام الذي لا يسوى بينها وبين الرجل بشكل عشوائي، بل يحدد لكل منهما دوره الذي يتناسب مع المهمة التي كلف بها. يقول أنيس أحمد:

" إن معيار التفضيل من وجهة النظر الإسلامية... لا يرتبط بالتفرقة بين الجنسين، وإنما هي معايير قوامها دور الفرد في المجتمع الأخلاقي الإسلامي، فليس لجنس الفرد علاقة بتقييمه أو قياس درجة امتيازه وتفوقه في ظل هذا النظام الذي يقيم الإنسان فيه وفقا لمدى إيمانه بالحق ومدى تقواه." (أحمد ،١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، ص٥٧).

ونجد آيات القرآن الكريم تشير إلى **القيم** التي يتحدد في ضوئها دور الفرد – ذكرا وأنثى – في النظام الاجتماعي.

أولها معيار التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وثانيها معيار العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

وثالثها معيار الاستقامة والصبر، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

(أحمد ،١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م، ص٥٧).

فينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن التحرير الحقيقي للمرأة قد جاء به الإسلام، وأن حركة تحرير المرأة قد بدأت فعلا مع بزوغ فجر الإسلام الذي أزال الفوارق بين الرجال والنساء، وحدد معالم شخصية المرأة، وأوضح عناصر تكوينها، وثبت حقوقها، وبين واجباتها، وجعلها مساوية للرجل أمام الله، وأمام الناس، وأمام القوانين المنظمة لحياة البشر.

وهذه الحقيقة لا تجهلها بعض المسلمات المعاصرات، بل ويعبرن عن فخرهن واعتزازهن بانتمائهن للإسلام.

تقول إحدى المثقفات المسلمات، من اللاتي يعشن في ديار الغرب: " إن الإسلام قد أعطى المرأة كثيرا من الحقوق التي تحسدها عليها المرأة الغربية التي لم تنل حتى الآن إلا جزءا ضئيلا منها، وإن ما تحتاجه المسلمة فعلا هو معرفة تلك الحقوق وممارستها."

(الشرق الأوسط، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع ٥٨٨٦).

كذلك ينبغي العمل على توعية أفراد المجتمع الإسلامي والدولي بنظرة الإسلام إلى المرأة، وتنمية الاعتزاز بالانتماء للإسلام لدى المرأة المسلمة المعاصرة، وإمدادها بالمؤهلات اللازمة التي تمكنها من استعادة حقوقها التي حرمت منها عبر عصور التخلف والجمود.

٢- الفرق بين النوعين:

توجه الخطاب الإسلامي إلى كل من الذكر والأنثى، باعتبارهما عضوين في جسد الإنسان المسلم، لكنه لم يغفل ما فطره الله عليهما من تميز بالذكورة والأنوثة، بهدف تكاملهما. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التميز في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦]، وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل].

وهكذا اقتضى تباين النوعين، تغاير وظائفهما، واختلاق نوع المسئولية المناطة بكل منهما، وتوزيع المسئوليات تبعا لقدراتهما واستعدادهما.

وقد روي أن الصحابية أميمة بنت رقيقة جاءت تبايع النبي ﷺ فقال لها، ولمن معها: " فيما استطعتن وأطقتن، فقالت الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا " (الترمذي، د. ت، ج، السير / ٣٦، ص ١٢٩).

ويعلق محمد عمارة على الحديث بقوله: " فنطاق التكليف والحقوق والواجبات هو ما تستطيعه المرأة، وتطيقه باعتبارها أنثى، وفق أحكام الزمان، وأعراف المكان، وما تنميه أو تحجمه لديها التربية من قدرات وإمكانات." (عمارة،١٤١١ هـ/ ١٩٩١ م، ص ١٥٥)

فالإسلام يترك للمرأة آفاقا واسعة، تمكنها من تطوير قدراتها بما يحفظ تكاملها مع الرجل بعيدا عن الندية التي لا تتناسب مع خلق النوعين.

ومما يجدر بالذكر الإشارة إليه أن التفريق بين النوعين لا يتعارض مع المساواة بينهما في الإنسانية، والأهلية والكرامة، وإنما هو بسبب ضرورات اجتماعية واقتصادية، ونفسية اقتضتها حكمة الله عز وجل. ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝١٤﴾ [الملك].

ونجد أن الفروق بين النوعين لم ترتكز على مصلحة أحدهما دون الآخر؛ بل ارتكزت على المصلحة العامة التي تتحقق بتكامل النوعين لاختلافهما بيولوجيا، وفسيولوجيا، ونفسيا. والمساواة التامة فيها ظلم للمرأة بتحميلها أكثر مما تطيقه، وهي تتعارض مع ما

جاء به الخالق في شأنهما.(عرفة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص ١٨٩).

وقد جاء في حديث لرسول الله ﷺ رواه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه قوله: " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا." (الترمذي، د.ت، ج٣، البر/ ١٨، ص٢٨٧)، فالحديث لم يفرق بين ذكر وأنثى، فكل منهما ينبغي أن يكون لبنة قوية في جسد الأمة الإسلامية، ومن ثم يتأكد لنا أن الفروق بين النوعين مردها الاختيار الإلهي الذي لا دخل للبشر فيه، والذي يستلزم إعداد كل منهما لأداء دوره في الحياة على أكمل وجه، فالتفريق بينهما ضرورة من أجل تنظيم الحياة وإعطائها التكامل المطلوب، من خلال قيام كل نوع بما يلائمه من مسئوليات؛ لذا فإن الساعين إلى إيجاد المساواة الكاملة بينهما – وهي أمر مستحيل – يظلمون المرأة، حيث يحملونها ما لا تطيق، في حين أن الإسلام ينطلق في تعامله مع النوعين من الوسطية التي لا تحقر المرأة ولا تساويها مع الرجل في كل شيء.

فالمرأة والرجل نوعان لجنس واحد، ولهما مهمات مشتركة كجنس، ومهمات مختلفة كنوع، ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾ [الليل] ، والفارق بينهما آية من آيات الله في الازدواج والتكامل، إضافة إلى أنه يحقق لكل منهما أداء الوظيفة التي تلائمه.وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾

[النساء:٣٢].

والآية تتحدث عن التفاضل في الأنصبة بين النوعين، وأهميته في تنظيم العلاقة بينهما، وإقامتها على الرضا والتكامل.

وقد جاء في سبب نزول الآية أن أم سلمة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله؛ يغزو الرجال ولا نغزو، وإنما لنا نصف الميراث! "، فأنزل الله سبحانه وتعالى قوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(الترمذي، د.ت،ج ٥، التفسير/ ٥، ص٢٢١).

فالآية تشير إلى روح التنافس بين الرجال والنساء، والذي أثاره الحرية والحقوق التي نالتها المرأة في ظل الإسلام. لكن الإسلام يستهدف تحقيق التكامل بين النوعين بما يحقق العدل، ويتبع الفطرة في تقسيمه للوظائف بينهما. والفطرة قد مايزت بينهما في الخصائص، لأن كلا منهما قد خلق لأداء وظائف معينة، من أجل تحقيق الخلافة في الأرض. ومن ثم تنوعت التكاليف، والأنصبة، والمراكز، فلا مجال للجدال في التفضيل بعد هذا التقسيم

العادل. (سيد قطب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، مج٢، ص ٦٤٣-٦٤٤).

وسوف نتحدث فيما يلي عن بعض **مجالات الفروق بين النوعين**:

أ- الفرق بين النوعين في التكاليف:

أشرنا سابقا إلى أن الأصل هو المساواة بين النوعين في التكليف، وقد أشارت إلى ذلك الآ الكريمة ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

فهذه المساواة مكفولة مع توافر شرطين: البلوغ والعقل. لكن ينبغي ملاحظة " أن الشريعة الإسلامية تساوي بينهما في الحقوق إذا تساويا فيما تبنى عليه هذه الحقوق، وتخالف بينهما إذا اختلفا فيما تبنى عليه الحقوق. فمثلا هي تساوي بينهما في واجبات الإيمان والعبادات لاشتراكهما في مناط التكليف وهو البلوغ والعقل، وكلك تساوي بينهما في حق التملك؛ لأن مناطه الذمة المالية والأهلية، في حين تخالف بينهما في التعدد؛ لأن لدى المرأة مانعا غير موجود لدى الرجل فهي تحمل الجنين في بطنها، وتعدد الأزواج بالنسبة لها فيه اختلاط للأنساب. (زيدان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٤م، ص ١٧٤-١٨٤).

ب- للذكر مثل حظ الأنثيين:

إن النظرة الجزئية لتوزيع الإرث، تظهر إيثار الرجل، حيث إن النص القرآني يشير إلى أن للذكر مثل حظ الأنثيين، لكن النظرة الشاملة إلى الموضوع توضح أن هناك آيات أخرى دعت إلى مساواة الرجل بالمرأة في الميراث مثل وراثة الوالدين للابن، وهناك حالات يزيد فيها نصيب المرأة عن الرجل؛ كزيادة نصيب الأم على الأبناء في بعض الحالات، فالأمر ليس فيه محاباة لنوع على آخر، وإنما فيه مراعاة من قبل الإسلام لظروف كل من الرجل والمرأة، فليست الذكورة والأنوثة هي المقياس الوحيد؛ لأنه قد كلف الرجل بالإنفاق عليها، وزيادة على ذلك أعطاها جزءا من المال على سبيل التكريم. إضافة إلى أن في ذلك ابتلاء لها بالمال، أتحسن إنفاقه لتنال على ذلك الأجر، أم تسيء فتخسر.

وهناك أمر آخر؛ وهو أن الآية قد جعلت المرأة هي المقياس، فالذكر له ضعف ما للمرأة، مما يدل على أن المرأة هي الأساس في تحديد نصيب كل منهما، إلى جانب أن المرأة ليست دوما على النصف من الرجل. فالأم تأخذ مثل الأب؛ ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا

ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء:١١]، وميراث الإخوة للذكر مثل حظ الأنثيين ﴿وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ﴾ [النساء:١٧٦].

وقد قام الدكتور صلاح سلطان المدرس بكلية دار العلوم بالقاهرة بدراسة عن (التوازن بين حقوق المرأة في الميراث والنفقة في الشريعة الإسلامية)، تبين له فيها بعد استقرائه للحالات التي ترث فيها المرأة، أن هناك أربع حالات محددة ترث فيها المرأة على النصف من الرجل، في مقابل ثلاثين حالة تأخذ فيها مثل نصيبه وأكثر، أو ترث هي ولا يرث نظيرها من الرجال. بل إن أكبر الفروض في القرآن الكريم وهو الثلثان هو للنساء دون الرجال.

ويؤكد الدكتور صلاح على أن " هناك ميزانا ربانيا دقيقا بين حقي المرأة في الميراث، والنفقة. " فالمقارنة بين حقوقها المكتسبة، وحقها من الميراث، تظهر أنها أحظى بكثير من الرجل، وليس في ذلك أي ظلم للرجل، وإنما هو " مراعاة لضعفها عن الاحتراف والاكتساب فعوضها الله بهذه الحقوق الكثيرة التي تكفل لها حياة كريمة سواء كانت بنتا أم زوجة أم أما. (سعداوي في المسلمون، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ع ٦٣٣).

وقد أدرك كثير من الغربيين التكريم الكبير الذي أحاط الإسلام به المرأة حين جعل لها نصيبا في الإرث، وهو أمر تغفله القوانين البشرية، من بينهم لوبون الذي يقول عن ميراث المرأة في الإسلام:

" ومبادئ الميراث التي ينص عليها القرآن، على جانب عظيم من العدل والإنصاف.. ويظهر من مقابلتي بينها وبين الحقوق الفرنسية، والإنكليزية، أن الشريعة منحت الزوجات حقوقا في الميراث لا نجد لها مثيلا في قوانيننا." (العويد، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م، ج٦، ص ٧٤-٧٥).

ج- جهاد المرأة:

لم يفرض الله الجهاد على المرأة كما فرضه على الرجل، لكنه أيضا لم يحرمه، بل أوجبه حين تدعو الحاجة إليه، فعليها عندئذ أن تسهم بما تستطيعه حتى بالقتال إن استدعى الأمر. أما في الظروف العادية فقد أوكل إليها مهمة إنتاج الرجال المجاهدين؛ لأنها أقدر

وأنفع في هذا المجال.

وقد كان موضوع الجهاد هو أهم ما يشغل المرأة في صدر الإسلام، إلى جانب الإرث، كما أشرنا سابقا، فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٢] ينهى المسلمات عن تمني ما فضل الله به الرجال عليهن، وفي ذلك تربية لهن على الاستسلام لأحكام الله، فهو سبحانه وتعالى قد يسر كل مخلوق لما خلق له، وقد خلق المرأة لمهمة أخرى غير ما خلق له الرجل، وهي تسهم بالجهاد من خلال إنجاب المجاهدين، ومن خلال أوجه الجهاد الأخرى التي تدعم الجهاد بالقتال. فالجهاد فرض على كل مسلم أشار إليه النبي ﷺ بقوله: " من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق. " (المنذري، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨ م، ج٢، ص٣٣٠).

وينبغي على التربية أن تعمل على تعريف المرأة المسلمة بأوجه الجهاد في العصر الحديث، وتعمل على تدريبها بما يمكنها من الإسهام بما تقدر عليه عند الضرورة، حتى القتال وذلك لأن معاناة المسلمين في دول العالم ممن يقعون تحت سيطرة الاحتلال أو ممن يعيشون في بلاد غير إسلامية تشير إلى أهمية إعداد المرأة المسلمة بما يمكنها من صد أي اعتداء قد يقع عليها.

وقد تطورت أساليب الجهاد في الوقت الحاضر، أصبح بإمكان المرأة بسهولة أن تستخدم بعض الآليات إذا ما دربت عليها. ونحن نسمع عن المجندات في كثير من دول العالم، فيمكن للمسلمين أيضا إعداد نسائهم على سبيل الاحتياط، من خلال تدريبهن على بعض الأسلحة البسيطة التي يمكن لهن استخدامها عند الحاجة.

كذلك ينبغي أن تشتمل البرامج التربوية المقدمة للمرأة على أنواع من التدريبات الحركية، والتوجيهات النفسية والقانونية التي تعينها على الصمود في معركة الحياة بظروفها المختلفة. ومن أوجه الجهاد التي يمكن للمرأة أن تسهم فيها من غير القتال:

١- **الجهاد باللسان:** وهذا النوع من الجهاد يمكن القيام به في البلاد الإسلامية وفي غيرها من البلاد التي تسمح للمقيمين فيها بالأنشطة الدينية، ومن أمثلة ذلك: الاشتراك في جمعيات الدعوة والإرشاد، وطبع الكتب، والنشرات، والمجلات، والمحاضرات، والبرامج الإعلامية، والمؤتمرات وغيرها.

فإعداد المرأة للإسهام في الأنشطة الجهادية يحتاج إلى جانب تعريفها بأبواب الجهاد،

إلى إمدادها بالتدريب اللازم من حيث الاستخدام الجيد للأساليب البيانية وتعريفها أيضا بالمجاهدات عبر التاريخ لكي تستمد منهن القدوة، وليكون في ذلك حافز لها على السير في طريقهن ومد يد العون للمعاصرات [1] منهن أدبيا ومعنويا.

٢-جهاد النفس: جهاد النفس قيمة يمكن غرسها في نفس المرأة المسلمة المعاصرة منذ الطفولة من خلال تذكيرها ببطولات المسلمات في صدر الإسلام اللاتي تغلبن على عادات الجاهلية وتقاليدها وسمون بأنفسهن إلى أعلى المراتب الإيمانية في ظل الإسلام، وكذلك من خلال تربيتها على الجدية وتحمل المسئولية، والثقة بالنفس، والسعي الجاد من أجل بلوغ الغايات، والإيجابية في مواجهة المنكر، ونبذ الكسل، والتواكل، وعدم المبالاة، والتحلي بمكارم الأخلاق، والبعد عن الهوى والشهوات، وغير ذلك من الصفات التي تدعم صمودها أمام تكاليف الحياة باعتبارها دار كدح وعناء كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ [البلد] ، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق].

ولا بد أن توجه التربية انتباه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن قيامها بأداء مسئولياتها المختلفة داخل المنزل وخارجه يدخل ضمن هذا النوع من الجهاد، وأن الواجب يقتضي منها العدل والإحسان في ذلك حتى وإن قوبلت بغير ذلك.

د- المرأة لا تكلف برئاسة الدولة:

يقول الرسول ﷺ:" لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة". (السيوطي،

---

(١) من المجاهدات المعاصرات الدكتورة فوزية العشماوي أستاذة اللغة والحضارة في جامعة جنيف والتي حشدت الصحافة السويسرية الرأي العام ضدها لدفاعها عن القرآن ضد الكاتبة البنغلاديشية تسليمة نسرين، التي طالبت بتعديل القرآن حتى تحصل المسلمة على حق المساواة مع الرجل. وقد نشرت صحيفة (لاتربيون دي جنيف) مقالا وإلى جانبه رسما كاريكاتوريا يصور القرآن وعلى غلافه اسم المؤلف محمد، فقامت الدكتورة بالرد على الصحيفة اعتراضا على نسبة تأليف القرآن إلى محمد وليس إلى الله سبحانه وتعالى تحت عنوان (لا تمسوا قرآني) فكان أن طالب البعض بمعاقبتها، والبعض الآخر بإقصائها عن الجامعة، بدعوى التعصب، وكل ذلك لأنها طالبت باحترام عقيدتها في مجتمع يدعي احترام الآخرين. (سويسرا تعلن الحرب.. في زهرة الخليج، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع٨١٢، ص٢٦ -٢٧).
ومنهن أيضا الكاتبة التركية أمينة شانليك التي سجنت لمدة ثلاث سنوات بتهمة تحقير كمال أتاتورك في كتابها نحن الضحية... كيف؟) (الشعب، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥ م، ع ٨٨٦).

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١٧١)، وهذا التخصيص يشير إلى اهتمام الإسلام بإحسان المسلم في أدائه لمسئولياته خاصة إذا ما كانت تتعلق بالأمة كلها. وذلك لأن رئيس الدولة هو موظف غير عادي، فهو يجمع في شخصيته كل الصلاحيات باعتباره أعلى سلطة في الدولة؛ لذا فإن الإسلام يحرص على أن يكون كفئا لمنصبه، بحيث يمتلك المواهب والقدرات كافة التي تمكنه من إدارة الدولة على أكمل وجه.

وقد ناقش مولوى هذا الموضوع حيث أشار إلى أن السبب في حصر هذه الوظيفة بالرجال يتمثل في أن الرئيس هو ".. الإمام في الصلاة، والخطيب في المسجد، والقائد العسكري في الحرب، وهو في الوقت نفسه الذي يدير كل أمور الرعية. إن المرأة لا تستطيع بفطرتها، وبما خلقت له أن تقوم بقيادة الجيوش، ولا تستطيع أن تقوم بإدارة الدولة في كل الظروف، وأن تكون هي الرأس الأعلى، كما أنها لا تستطيع أن تؤم الناس في الصلاة. والقيادة في الإسلام تشمل كل الأمور السياسية والعسكرية والدينية، والله تعالى أعلم بالرجل والمرأة على حد سواء.." فالله سبحانه وتعالى يعلم بأن القيادة أمر لا يصلح إلا للرجال، فحصر الوظيفة فيهم، وحصر الوظائف أمر معمول به في القوانين الوضعية، التي تمنع بعض فئات الموظفين مثلا؛ من ترشيح أنفسهم للنيابة، ولم يحدث أن اعترض معترض على أن ذلك يخل بكرامة هؤلاء الموظفين (مولوي،١٤١٢ هـ/ ١٩٩٢م، ص ٣٣).

وبالمثل فإن حصر القيادة العليا بالرجل لا يخل بكرامة المرأة بل هو من باب إسداء الأمر إلى أهله.

٣- الحجاب:

معنى الحجاب:

لغة: من حجب أي ستر. وامرأة محجبة صيغة مبالغة (الزبيدي، د.ت، ج١، ص٢٠٣).

شرعا: ستر مفاتن المرأة عن الأجانب الذين لا يحل نظرهم إليها إلا بموجب شرعي (داخل، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٤٩).

وحجاب المرأة ليس من ابتداع الإسلام. بل هو أمر قد عرفته كثير من المجتمعات

غير الإسلامية، فقد عرفته الطبقات الراقية قبل الإسلام بقرون طويلة، كما في مصر الفرعونية، وفي بيزنطة وإيران (هوفمان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ص٢٢٠).

ومن تكريم الله للمرأة وحفاظه على إنسانيتها، أنه سبحانه تعالى قد تولى بنفسه وضع التصميم الكامل لما ارتضاه حجابا وسترا لها ووقاية، وأغناها بذلك عن اللجوء إلى تصميمات البشر. ونجد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تحديدا لصفات حجاب المرأة المسلمة وهي:

١- **ستر البدن** وإخفاء الزينة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾[الأحزاب:٥٩].

٢-**لا يشف** عما تحته: "... ونساء كاسيات عاريات.. لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.." (المتقي، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م، ج٦، ص ٤٢٢).

٣- **غير مطيب**: " إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمس طيبا." (مسلم، د.ت، ج١، الصلاة/ ٣٠، ص ٣٢٨). أيما امرأة أصابت بخورا فلا تشهد معنا العشاء الآخرة". (أبو داود، د.ت، ج٤، الترجل/ رقم ٤١٧٥، ص ٧٩)." لا تقبل صلاة لامرأة تطيب لهذا المسجد حتى ترجع فتغتسل غسلها من الجنابة." (أبو داود، ج٤، الترجل/ رقم ٤١٧٤، ص ٧٩).

" ألا وطيب الرجال ريح لا لون له، ألا وطيب النساء لون لا ريح له." (أبو داود، ج٤، اللباس/ رقم ٤٠٤٨، ص ٤٨).

٤- **لا يشبه ثياب الرجال**: " لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال." (البخاري، ١٤٠١ هـ/ ١٩٨١ م، ج٧، اللباس/ ٦١ ص ٥٥).

٥- **لا يشبه لباس غير المسلمين**: " من تشبه بقوم فهو منهم." (أبو داود، ج٤، اللباس/ رقم ٤٠٣٠، ص ٤٢)

٦- **لا يكون ثوب شهرة**: " من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله ثم ألهب فيه نارا." (أبو داود، د.ت، ج٤، اللباس/ رقم ٤٠٢٩ ، ص ٤٢- ٤٣).

وقد جاء عن الشوكاني أن الشهرة تعني ظهور الشيء بحيث يشتهر الثوب بين الناس

بلون أو شكله، فيرفعون إليه أبصارهم، وأنه لا فرق بين وضيع الثياب ورفيعها إذا كان القصد من ورائها الاشتهار، فالمعتبر القصد وإن لم يطابق الواقع. (الشوكاني، د. ت، ج ٢، ص ١٢٦).

فالحجاب يقتضي من المرأة المسلمة ستر شعرها، والابتعاد عن الزينة، وستر بدنها، والابتعاد عن الطيب، وكلها أمور تخالف هوى النفس؛ لكن الإسلام يأمر بها لأنه يحرص على تميز الشخصية المسلمة، ويحرص على الحفاظ على أمن المجتمع واستقراره .

تقول المستشرقة لورا فيشيا فاغليري في كتاب لها بعنوان (دفاع عن الإسلام، ١٩٩٥م):

" اجتنابا للإغراء بسوء السلوك، ودفعا لنتائجه؛ يتعين على المرأة المسلمة أن تتخذ حجابا، وأن تستر جسدها كله، ما عدا تلك الأجزاء التي تعتبر حريتها ضرورة مطلقة. وليس هذا ناشئا عن قلة احترام للنساء، أو ابتغاء كبت إرادتهن؛ ولكن لحمايتهن من شهوات الرجال. وهذه القاعدة العريقة في القدم، القاضية بعزل النساء عن الرجال، والحياة الأخلاقية التي نشأت عنها، قد جعلتا تجارة البغاء المنظمة مجهولة بالكلية في البلدان الشرقية، إلا حيث كان للأجانب نفوذ أو سلطان. وإذا كان أحد لا يستطيع أن ينكر قيمة هذه المكاسب، فيتعين علينا أن نستنتج أن عادة الحجاب كانت مصدر فائدة لا تثمن للمجتمع الإسلامي." (عماد الدين خليل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص٤٢١).

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء]، والرسول ﷺ يقول: " إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه (النسائي، د.ت، ج٨، الجهاد، ص ١٢٢). فالتطرف في كلا الجانبين يتعارض مع وسطية الإسلام. والآية تشير إلى أن القصد من أوامر الله هو التخفيف على الإنسان – ذكرا وأنثى – وهو المتناسب مع سماحة الدين ويسره، لكن قصر نظر الإنسان يمنعه من إدراك إرادة الله في التخفيف عنه، فنجده يصدر أحكامه تبعا للنتائج الأولية، دون نظر في العواقب النهائية.

وتعلق على ذلك حنان لحام بقولها:

" فالمرأة قد تشعر بصعوبة الحجاب، وقد تتخذ مواقف سلبية إزاء قضية تعدد الزوجات، وقوامة الرجل، وإنفاقه على المرأة. وكل ذلك راجع إلى تسرع وسطحية في

النظر. ولو تأملنا النتائج البعيدة لاختلف الأمر. فالمرأة تتحمل أكبر قسط من الآلام حين يترك شرع الله. ألم تصبح سلعة رخيصة في العالم الغربي الذي نبذ الحشمة والحجاب من حياته..؟ وهل تحافظ الأسرة على كيانها وقداستها هناك؟ " (لحام، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م، ص ١٠٧-١٠٨).

لكن واقع المرأة المسلمة المعاصرة يشير إلى أنها قد غفلت عن الحكمة من الحجاب، واندفعت وراء فكرة المساواة بالرجل التي أطلقها الغرب، فتخلت عن حجابها فأصبحت تخرج بادية النحر والذراعين، بل وحتى الفخذين، ومنهن من تسامر ضيوفها وتكرمهم بما لديها من فنون الزينة والإغراء، فلم يعد يحدد حجابها سوى الموديلات التي ترعاها دور الأزياء الغربية [١].

وقد ساعد على دفع المرأة في هذا الاتجاه، وجود الفئة التي جندها الشيطان لتنفيذ مآربه في كل زمان، والتي تسخر وتستهزئ من الصالحين، وتتفنن في سبيل إغواء الناس بما يجعلها تبدي الحق في صورة الباطل، والباطل في صورة الحق. وهي تستخدم في سبيل ذلك كل ما لديها من إمكانات، وهذه الإمكانات تتمثل في وقتنا الحاضر في وسائل الإعلام بمختلف صورها، والتي تتفنن في جذب النساء وطبعهن بطابعها .

ويساعد وسائل الإعلام الفئة المتغربة من أفراد المجتمع الإسلامي والتي ترى في الحجاب دليل تأخر ورجعية لا يتناسب مع العصر الحاضر[٢]، وهذه الفئة تمثل الغرب

---

(١) في مناظرة تلفازية، أعدها برنامج الاتجاه المعاكس بقناة الجزيرة الفضائية القطرية، شاركت بها النائبة الأردنية توجان فيصل، والكاتبة المصرية صافيناز كاظم حول تعدد الزوجات، تجاوزت النائبة توجان حدها وخرجت عن المنهج العلمي في فهم الأحكام الإسلامية، حيث عبرت عن رؤيتها فيما يتعلق بتعدد الزوجات، وأنه حكم بطل زمانه، وتهجمت على علماء الإسلام الذين عارضوها. النائبة ترى بأن اللباس الشرعي " رمز للشرشحة وللبهدلة " وأن لباسها المتبرج يمثل " الزي الإسلامي الراقي، الذي يمثل الحضارة بكافة المفاهيم الإسلامية. "(صحيفة الحياة الأردنية، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م، ع٣٥).

(٢) في بلد مسلم افتتح قسم للمحجبات يختص بأمراض النساء والولادة، في أحد المستشفيات، فانبرى عدد من الأطباء وغيرهم يعلنون أن هذا الأمر يمثل تطرفا واتجارا بالدين لا بد من محاربته ومقاومته، وكان من بين المعترضات إحدى رائدات تحرير المرأة التي تعدت الاعتراض إلى الحديث عن الحجاب فقالت: " وفي رأيي أن الحجاب يضعف أخلاق المرأة.. وهو إهانة لها، ونوع من الخوف، فالمرأة المحجبة تخاف مخالطة الرجال والنظر إليهم لأنها لا يشغلها إلا الجنس بنوعه غير الراقي. " وفي بلد مسلم آخر؛ تطالب الأم ابنتها،= = والأخ أخته بنزع الحجاب، وتبالغ الأم فتمنع ابنتها من مواصلة الدراسة إن لم ترضخ لطلبها، ويبالغ

الذي عمل جاهدا على إخراج المرأة المسلمة عن أصالتها ليحطم كيان المجتمع الإسلامي من خلالها. فهو يرفض الحجاب ويأباه؛ لأنه -كما يقول هوفمان " يخالف تصوره عن الشرق الغارق في الملذات. فهو دليل عفة المرأة في الشرق، والغرب لا يريد الاعتراف بأن الإسلام دين يدعو للفضيلة والأخلاق الحميدة ويتمسك بها. " (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ص ٢١٤-٢١٥)، ولأنه - الغرب - يصر على اتخاذ جسد المرأة وسيلة للجذب في مجال التجارة، فقد دفع ذلك بكثيرات من الغربيات إلى اعتناق الإسلام بعد أن عرفن مدى حرصه على صيانتها وصيانة المجتمع من خلالها.

يقول هوفمان:

" ولا عجب أن المسلمات الأوروبيات.. متفقات جميعا، على أن المرأة في المجتمع الغربي، قد صارت رمزا معروضا لتجارة الجنس، وذلك بازدياد مصممي الثياب المستمر في تعرية جسد المرأة وإبراز مفاتنها الجسدية، حتى صارت المرأة ضحية الضغط المتواصل عليها، لتظهر أناقتها بحيث تصبح أكثر إثارة وفتنة للرجل. " (هوفمان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، ص ٢٢١).

فالله سبحانه وتعالى الذي فطر الرجل على الافتتان بالمرأة، الذي يساعد على بقاء النوع الإنساني، هو الذي شرع حجاب المرأة ليكون أحد الضوابط التي تحافظ على استقرار المجتمع وتمنعه من الانحراف والتعبد للأهواء والشهوات؛ فهو حل إلهي لفطرة إلهية.

لكن من بين النساء المسلمات من نبذت الحجاب وكأنه تقليد اجتماعي ، وتتعلل على تركها له بحجج شتى، فمنهن من تتعلل بأن الحجاب يقيد حرية المرأة في الحركة فيعيقها عن القيام ببعض الأعمال، ومنهن من تتعلل بأنه يمنعها من التمتع بالهواء وغيرها من الحجج التي تتهاوى أمام التقاليع الغربية التي تتبعها المرأة دون تفكير في حر أو برد، فنجدها تستر كل جسمها إذا ما فرضت عليها (الموضة) ذلك، وتعريه أيضا بحسب مقاييس الموضة وأربابها وتبوء في الحالتين بالإثم؛ لأنها سلمت للموضة وأربابها، ولم تسلم لرب العالمين. ويعلق حيدر قفه على هذا الموضوع فيقول:

" إن الإنسان في سبيل تحقيق شيء ما يتحمل الصعاب راضيا مختارا، فنشاهد مثلا أن

الأخ، ويعبر عن شعوره بالخزي أمام أصدقائه بسب تحجب أخته أمامهم. (العويد، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩م، ج٣، ص٢٦).

بعض هؤلاء النسوة قد تلبس الواحدة منهن المشد (الكورسيه) ليضغط على خصرها أو ردفيها ليبدو عودها جميلا، وقوامها متناسقا، وتكابد في سبيل ذلك، هذا الضغط وهذا الضيق، وتجلس بين أيدي مصفف الشعر (الكوافير) فيضع رأسها في جهاز يصليها بتيار هواء حار ليجفف شعرها في سبيل أن تحظى (بتسريحة) ما لشعرها. وتتحمل آلاما جسدية مبرحة في سبيل تخليص جسدها من الشعر غير المرغوب فيه، لتبدو ناعمة الملمس طرية الجلد، وتعيش ساعات في (زنزانة) خانقة من بخار الماء الحار (حمامات السونا) فيطفح جلدها عرقا حتى يكاد يلجمها، وتزهق له روحها في سبيل تنقيص وزنها بضع (كيلو جرامات). وكلها أمور تتعلق بدنياها الزائلة الفانية، أفلا تتحمل الحجاب الإسلامي. في سبيل رضى الله عز وجل، ثم جنة عرضها السموات والأرض. وصدق رسول الله ﷺ: " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " (قفة، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م، ص ص٦٧-٦٨).

لقد تيسر الحجاب في هذا الزمن فأصبحت هناك الأقمشة المختلفة التي تناسب حرارة الجو وبرودته، وغير ذلك مما لم يكن متيسرا للأجيال السابقة من وسائل التكييف، وغيرها، لكن رغم ذلك سلمت النساء لأوامر الله والتزمن بالحجاب عن طواعية، في حين تعرض حفيداتهن اليوم عن ذلك رغم كل التيسيرات، التي هي من النعيم الذي ستسأل عنه المرأة يوم القيامة، وعن أداء حق شكره: ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [الإسراء:٨٣] ، ولكنها التبعية والتقليد الأعمى الذي يدفع المرأة إلى التخلي عن الحجاب وهي قادرة على التمسك به، في حين أن هناك كثيرات من المسلمات في بلاد الإسلام وفي غير بلاد الإسلام يجاهدن من أجل الحفاظ على حجابهن.

وذلك لأن الحجاب قد تحول في كثير من الدول من مجرد آداب يتعين على كل مسلمة التحلي بها، إلى قضية سياسية أثارتها الحكومات في عدد من دول الشرق والغرب، فدخلت قاعات المحكمة في فرنسا وكينيا وغيرها، كما كرست بعض الأجهزة التشريعية في بعض الدول الإسلامية كثيرا من وقتها وجهدها من أجل سن القوانين المتسلطة لمحاربته كما في تركيا[1] وماليزيا وغيرها.

(١) سمحت وسائل الإعلام التركية للمرأة المحجبة بالظهور من خلالها بعد أن كان ذلك محظورا عليها من قبل. ومن بين المحجبات اللاتي يظهرن فيه اليوم الكاتبة التركية أمينة شانليك التي تدير حوارات مع العلمانيين عبر التلفاز، وهي تقول بأن مقولة اللاتي يعتبرن الحجاب عائقا للمرأة عن القيام ببعض الأعمال قد=

وهكذا انتكس البشر في أذواقهم فأصبحوا يرون في التهتك تقدما، وفي الاحتشام تخلفا.

لقد كان قاسم أمين من أوائل الدعاة إلى حركة تحرير المرأة، حتى ارتبط اسمه بالحركة، لكنه عبر عن خطأ ما دعا إليه حينما لمس بنفسه الآثار السيئة للسفور في واقع المجتمع حيث كتب يقول:

" لقد كنت أدعو المصريين إلى تمزيق ذلك الحجاب، وإلى إشراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم. ولكنني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس. فلقد تتبعت خطوات الناس في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية، لأعرف درجة احترام الناس لهن، وماذا يكون شأنهم معهن إذا خرجن حاسرات. فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذل من دعوتي، واستنفر الناس إلى معارضتي. رأيتهم ما مرت بهم امرأة أو فتاة إلا تطاولوا عليها بألسنة البذاءة. ثم ما وجدت زحاما في طريق فمرت به امرأة إلا تناولتها الأيدي والألسن جميعا. إنني أرى أن الوقت ليس مناسبا للدعوة إلى تحرير المرأة بالمعنى الذي قصدته من قبل"[٢]. (معبر، د.ت، ص ٢٦ - ٢٧).

فينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أهمية التمسك بالحجاب، باعتباره سلوكا إسلاميا أصيلا - وليس مبتدعا – له أسسه وأسانيده الشرعية، وفوائده الدينية والروحية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية، وأنه يمثل مظهرا من مظاهر التقدم والرقي، في حين أن العري هو إلى صفات الحيوانات أقرب. وقبل ذلك فإنه ينبغي توجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن الحجاب يمثل جزءا من عقيدتها التي يجب أن تدفعها إلى إدراك الوسائل التي تكفل صيانتها للأمانة التي تحملها. وكونها مربية المجتمع وقدوتـه؛ فإن أداء الأمانة يقتضي منها التزام التستر والاحتشام والحفاظ على الفضيلة وسد مسالك الشيطان لإغواء بني الإنسان، سيما وأن ذلك لا يتعارض مع إحسان الهيئة المطلوب في الفرد المسلم، ولا يمنعها من الإسهام في الأنشطة الاجتماعية الملائمة، ولا يعني عزلها عن حركة المجتمع وتطوره.

= تبخرت اليوم. و تعتبر أمينة ما تقوم به " رسالة إلى النساء العلمانيات بأن المرأة المحجبة قادرة على القيام بوظائف عديدة وهي ترتدي حجابها. " (الشعب، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ع ٨٨٦).

(١) نشر هذا الحديث لقاسم أمين في صحيفة الظاهر التي كان يصدرها المحامي محمد أبو شادي في أكتوبر سنة ١٣٢٤ هـ / ١٩٠٦م. (معبر، د.ت، ص ٢٦).

٤- الاختلاط:

معنى الاختلاط: هو اجتماع الرجل والمرأة التي ليست بمحرم. أو اجتماع الرجل بالنساء غير المحارم في مكان واحد يمكنهم فيه الاتصال فيما بينهم بالنظر أو الإشارة، أو الكلام. (الجار الله، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٢).

وقد جاءت النصوص في الكتاب والسنة بالنهي عنه. من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْئَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣] وجاء في الحديث قوله ﷺ فيما رواه عقبة بن عامر رضي الله عنه: " إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت. "(مسلم، د.ت، ج٤، السلام / ٨، ص ١٧١١) وقال عليه السلام أيضا فيما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: (لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة، إلا ومعه رجل أو اثنان " (مسلم، د.ت ، ج٤، السلام / ٨، ص ١٧١١).

فهذه النصوص تدل على أن الاختلاط أمر غير مرغوب فيه في الإسلام، لكنه مأذون به عند الضرورات الشرعية والعملية، ومن أمثلة الضرورات الشرعية: الطواف والحج، وأما الضرورات العملية، فقد أباح الإسلام للمرأة أن تشترك في الأنشطة الاجتماعية التي تسهم في الارتقاء بوضع المجتمع؛ بشرط الالتزام بالضوابط التي قد تسبب لها بعض الحرج، لكنها تتحمله من أجل تحقيق مصالح الحياة، طمعا في مرضاة الله سبحانه وتعالى، وذلك لأن ظروف الحياة الحديثة تحتم على المرأة في بعض الأحيان الاختلاط بالرجال كما هو الحال في الطائرات والقطارات والسيارات العمومية، وفي الأسواق من أجل ممارسة البيع والشراء، وفي المؤسسات الحكومية من أجل إنهاء المعاملات وغيرها، فهنا يباح لها الاختلاط، بشر ط مراعاة عدد من الأمور التي تشكل في مجموعها ضوابط تقي المجتمع وأفراده من الانحراف وهي:

١- **الابتعاد عن التبرج**: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

٢- **عدم الخضوع بالقول**: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢].

٣- **تجنب الخلوة المحرمة**: "لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم" (البخاري،١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ج٦ ، النكاح / ١٠٧، ص ١٥٧).

٤-**الالتزام بالحجاب الشرعي.**

٥- **اجتناب الطيب:** (والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا يعني زانية).(الترمذي، د.ت، ج٤، الأدب / ٣٦، ص٩٩).

٦- **الوقار في الحركة:** ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

٧- **غض البصر:** ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور:٣٠].

٨- **اجتناب مواطن الريبة:** "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك". (ابن حنبل، د.ت، ج١، ص٢٠٠).

٩- **اجتناب المزاحمة:** قال ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما: (لو تركنا هذا الباب للنساء) (أبو داود، د.ت، ج١، الصلاة/ رقم ٥٧١، ص١٥٦).

١٠- **اجتناب مصافحة الرجال:** يقول ﷺ فيما روته السيدة عائشة رضي الله عنها: (إني لا أصافح النساء) (ابن حنبل، د.ت، ج٦، ص٤٥٧). والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

ويشير أبو شقة إلى أن لقاء النساء بالرجال بآدابه الشرعية؛ هو ما يمكن أن يطلق عليه أنه اختلاط مشروع، و يؤكد على أن الانعزال واللقاء كلاهما مشروع في الإسلام، وأن الحياة الجادة النشطة الخيرة هي التي تحدد للمرأة في كل وقت وفي كل مجال إذا كان الأولى الانعزال، أو لقاء الرجال. " أي أن المرأة المسلمة لا تقصد لقاء الرجال، استمتاعا بصحبتهم، فهذا محظور شرعا، إنما تقصد ممارسة الحياة النشطة الخيرة سواء أدى ذلك إلى لقاء الرجال أو الانعزال عنهم." (أبو شقة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠، ج ١، ص ١٦-١٧).

وقد أدركت بعض النساء الغربيات مساوئ الاختلاط بحكم التجربة، وأخذن بالدعوة إلى منعه. من بينهن الصحفية الأمريكية (هيلسيان ستانسبري)، التي أمضت عدة أسابيع في القاهرة ثم كتبت تقول:

"إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي

تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأميركي، فعندكم أخلاق موروثة تحتم تقييد المرأة، وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكثر من ذلك: عدم الإباحية الغربية التي تهدد اليوم المجتمع والأسرة في أوروبا وأميركا. لهذا أنصح بأن تتمسكوا بتقاليدكم وأخلاقكم. امنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطلاق ومجون أوروبا وأميركا. امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين فقد عانينا منه في أميركا الكثير. لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعا معقدا، مليئا بكل صور الإباحية والخلاعة. وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين يملئون السجون، والأرصفة والبارات، والبيوت السرية." (العويد، ١٤٠٩ هـ/ ١٩٨٩ م، ج٤، ص ٩ - ٩٩).

كما لمست بلدية لندن مساوئ الاختلاط والتي تمثلت في زيادة حالات الاغتصاب للمرأة، مما دفعها إلى تشغيل باصات خاصة للنساء ما بين الساعة السادسة مساء وحتى منتصف الليل من أجل الحد من حوادث الاعتداءات المتكررة عليهن. (العويد، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، ج٤، ص ٤٠-٤١).

وفي دراسة بريطانية أجريت حديثا شملت أكثر من خمسة آلاف زيارة تفتيشية للمدارس البريطانية خلال الأعوام الثلاثة الماضية، أسفرت نتائجها عما يؤكد أن مدارس البنات تحقق نتائج أفضل من المدارس المختلطة بصورة (ثابتة ومستمرة). (موسى في المسلمون، ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٥م، ع٥٦٠).

كما أكدت الباحثة (جانيت ويلي) في دراسة أجرتها؛ على فشل المدارس المختلطة في بريطانيا لأنه يضعف تركيز الطلاب المراهقين، وبالتالي يضعف تلقيهم للعلم. (باحثة بريطانية في المجتمع، ١٤١٥ هـ/ ١٩٩٥م، ع ١١٤٩، ص ٤).

فهذه الدراسات الحديثة تؤكد على فشل التعليم المختلط الذي حرص أنصار تحرير المرأة على المناداة به بدءا من الحضانة وحتى الجامعة، مقلدين للغرب في ذلك باسم "سلامة التربية، وحسن تفاهم الشبان والشابات[1]". (الخولي، د.ت، ص ٦ -٧).

---

(١) تنتقد نوال السعداوي الذي يخفون رءوسهم في الرمال ويدعون أن مجتمعاتنا خالية من المشكلات حيث تراعى فيها كل القيم والقوانين، وذلك في معرض حديثها عن المشكلات الأخلاقية التي تسبب فيها المعلمون الذي يدرسون في مدارس البنات. (انظر السعداوي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٨٧٢).

٥- التبرج:

معنى التبرج:

إظهار المرأة زينتها، ومحاسنها للرجال. (الرازي، د. ت، ص٦٤).

وذلك يمكن أن يكون بأحد الأشكال الآتية:

١-إبداء جمال وجهها ومفاتن جسدها.

٢-إبـداء محاسن ملابسهـا وحليهـا.

٣-إبداء نفسها بمشيتها وتمايلها وتبخترها.

وهذا مأخوذ من الآيات والأحاديث التي جاءت في النهي عن التبرج، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾ [الأحزاب-٣٣] وقوله: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ [النور:٣١] وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١] .

كما جاء في السنة النبوية عن النساء اللاتي لا يدخل الجنة قولهﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها." (مسلم، د.ت،ج ٤، الجنة/ ١٣، ص ٢١٩٢-٢١٩٣).

فنصوص الكتاب والسنة تتوجه بخطابها إلى النساء بما يحفظ المجتمع ويصونه من الانحراف، فتضع الضوابط التي تحول دون إثارة الغرائز بصورة لا تليق بكرامة الإنسان، وتحفظ للمجتمع الإسلامي نقاءه وطهارته. ومن ثم وجب على التربية أن تخاطب الجانب الوجداني للمرأة المسلمة المعاصرة؛ لتسهم في الحفاظ على البيئة الاجتماعية من الارتكاس إلى المستوى الحيواني وذلك من خلال محافظتها على الالتزام بالسلوك الإسلامي، والارتقاء عن الممارسات التي تصدر من بعض النساء اللاتي يعانين من ازدواجية في شخصياتهن تجعل هناك انفصاما بين إسلامهن وبين سلوكهن.

ومن هؤلاء المرأة التي تخرج إلى الأسواق وهي بكامل زينتها، فتبرز العنـق والذراعين، أو الساقين، أو تتكسر في مشيتها، أو تسمع صوت خطواتها وهي تسير، أو توشي حجابها بألوان صارخة أو فصوص لامعة أو تضع الطيب.. إلى غير ذلك من

الأمور التي يزينها الشيطان للمرأة فيجعلها ترى المنكر معروفا والمعروف منكرا، بسبب غفلتها عن مراقبة الله لها، وعدم إدراكها لمسئوليتها تجاه شكر الله على نعمه، ونسيانها لليوم الآخر وما سيتم فيه من حساب وجزاء. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم].

ونجد هذا السلوك يتكرر في البيئات الإسلامية بسبب غفلة بعض أفراد المجتمع عن المبادئ التي يدعو إليها الإسلام. فهذا الإمام الذهبي ينتقد نساء عصره على تبرجهن **فيقول:**

" ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة، إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت، ولبسها الصباغات، والأزر، والحرير، والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكمام، إلى غير ذلك إذا خرجت. وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه، ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة.. " (الذهبي، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م، ص ١٣٥).

كما أشار الإمام الآلوسي في تفسيره إلى بعض مظاهر التبرج التي شاعت في عصره **حيث يقول في ذلك ما نصه:**

" ثم اعلم أن عندي مما يلحق بالزينة المنهي عن إبدائها، ما يلبسه أكثر مترفات النساء في زماننا فوق ثيابهن، ويتسترن به إذا خرجن من بيوتهن، وهو غطاء منسوج من حرير ذي عدة ألوان، وفيه من النقوش الذهبية أو الفضية ما يبهر العيون، وأرى أن تمكين أزواجهن ونحوهم لهن من الخروج بذلك ومشيهن به بين الأجانب من قلة الغيرة، وقد عمت البلوى بذلك "(الألوسي، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م، ج١٨، ص١٤٦).

ومما يؤسف له أن من بين مسلمات اليوم من يصل عدم التزامها باللباس الشرعي إلى ما هو أكثر من التبرج بكثير، حيث يكاد يصل إلى العرى بين بعضهن. بل إننا نجد لدى بعض المتبرجات ممن لا زالت قلوبهن تحوي شيئا من خوف الله وخشيته، أمورا تدل على الازدواجية التي أشرنا إليها؛ فالواحدة منهن إذا ما سمعت الأذان عمدت إلى لبس حجاب ساتر لتصلي فيه، ثم تعود إلى سفورها وتبرجها وتنسى قوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ

ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة] ، ومثلهن المحجبات اللاتي لا يتورعن عن وضع الطيب أو وضع الأصباغ على وجوههن، وهو إنما يدل على حيرة وتردد بين الالتزام والانفلات. بل إن من بين النساء من تحافظ على حجابها لكنها لا تتورع عن إلباس صغيراتها ملابس متبرجة، بحجة أنهن صغيرات، ولا تدرك أنها بذلك تهون أمر التبرج على البنت وتعودها عليه، ومن شب على شيء شاب عليه.

وحينما تتبرج المرأة لا تدرك أن ذلك مؤشر على انحرافها الفكري الذي يدفعها إلى الخروج عن آداب الإسلام، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، من خلال التشبه بالكافرات، في حين أن الإسلام يحرص على التميز بحيث يكون المسلم كالشامة بين الناس. لكن المرأة تندفع وراء الآخرين تقليدا، وهي تعتقد بأن التبرج أمر ظاهري لا يمس عقلها، في حين أنه يكلفها من الوقت ما لا يبقي لها مجالا لبناء ذهنها وصقل شخصيتها وتنميتها.

فينبغي على القائمين على تربية المرأة المسلمة المعاصرة أن يغرسوا في نفسها خطورة التبرج على نفسها وعلى المجتمع من حولها. ويوضحوا لها كيف أنها تتعبد لربها حين تلتزم بأوامره في ما يتعلق بلباسها وزينتها ومشاركتها في الأنشطة الاجتماعية؛ حيث نجد الآيات الكريمة تقرن بين السلوكيات والممارسات العبادية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾ [الأحزاب-٣٣] .

كذلك فإنه ينبغي الاهتمام بتنمية قدرة المرأة المسلمة المعاصرة على الصمود أمام الإغراءات، فلا يفجعها مثلا البون الشاسع بين مظهرها الإسلامي ومظهر غيرها من المتبرجات، اللاتي جاءت النصوص النبوية تشير إلى الجزاء الأليم الذي ينتظرهن. ومن ذلك قوله: ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: " صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا." (مسلم، د.ت، ج٣، اللباس / ٣٤، ص ١٦٨٠).

وفي تعليقه على هذا الحديث ذكر الإمام القرطبي أن هؤلاء النسوة يمكن أن يكن كاسيات عاريات بلبس ما رق من الثياب، أو كاسيات من الثياب عاريات من لباس

التقوى الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦]، وقد روى أن نسوة من بني تميم دخلن على عائشة ﵂ وعليهن ثياب رقاق فقالت: " إن كنتن مؤمنات فليس هذا بلباس المؤمنات، وإن كنتن غير مؤمنات فتمتعينه." (القرطبي، د.ت، ج١٤، ص ٢٤٤، ص ٣٠٠).

فلابد من اهتمام القائمين على تربية المرأة المسلمة المعاصرة بتشكيل العقيدة الصحيحة لديها منذ الصغر؛ بحيث تمدها بالمعلومات الصحيحة التي تنمي لديها القدرة على التمسك بالحق الذي تؤمن به في مواجهة الباطل الذي شاع في أرجاء العالم الإسلامي مستخدما الأساليب والوسائل المغرية كافة على اتباعه، والأمر هنا يتعلق بالموضات والمغريات التي تخاطب ميل المرأة الفطري نحو الزينة.

٦- تحديد النسل:

لقد تخبط البشر في معالجة قضايا المرأة ولم يهتدوا فيها إلى الصواب؛ وذلك لأنهم عالجوها بمعزل عن هدي الله وشرعه، ومن ثم كانت المرأة هي الضحية في تلك المعالجات. ومن ذلك قضية تحديد النسل التي بدأ الغربيون بالدعوة إليها مبررين ذلك بالنمو غير المتوازن بين عدد السكان والاقتصاد، ولم يجدوا حلا لذلك سوى الدعوة إلى تحديد النسل. (مدني، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠٨).

أما الحقيقة فتوضحها نوال السعداوي بقولها:

" إن المشكلة الأساسية في حياة المرأة أن جسدها هو الوسيلة الوحيدة لإنتاج البشر. ومن أجل أن تسيطر الدولة على وسائل إنتاج البشر وتخضعها لمصلحة النظام الاقتصادي السائد؛ فقد سيطرت على أجساد النساء وأصبحت المرأة لا تملك جسدها وإنما الذي يملكه هو الدولة التي ورثت في العصر الحديث كثيرا من سلطات الرجل في الأسرة البدائية ... "، ولذلك وجدنا بعض الدول الغربية تكافئ المرأة إذا ما أنجبت سواء كانت متزوجه أم لا؛ وذلك بسبب قلة الأيدي العاملة، كما في السويد مثلا، في حين هي تعاقب على ذلك في دول أخرى، كما في الهند مثلا. (السعداوي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٩٠١ – ٩٠٢).

ومما يؤسف له أن هذه الدعوة قد وجدت قبولا لدى كثير من الأفراد في المجتمع الإسلامي، والذين نسوا وجهة نظر الإسلام في ذلك؛ فراحوا يقلدون الغرب في سياساته، ففرضوا على المسلمات سياسة تحديد النسل، وبالغ البعض فعمد إلى إباحة

الإجهاض رغم أنه محرم في الإسلام [1].

ومن خلال التربية يمكن تصحيح مفهوم الناس عن تحديد النسل، وتوضيح وجهة نظر الإسلام في ذلك.

لقد بالغ الغربيون في تقدير قيمة الاقتصاد إلى درجة الطغيان، حيث ربطوا بين الإنسان وبين ما يملك.. بحيث أصبحت قيمة الإنسان تقدر بما يملك من الاقتصاد وليس بما يملك من طاقات بشرية، وكفاءات تعبر عن المستوى الإنساني الذي وصل إليه. (الخولي، د.ت، ص ٢٤-٢٥).

ونجد هذه الدعوة تتماشى مع النمط الاستهلاكي الذي يشيع في الغرب، والذي يراد فرضه على الشعوب الأخرى، من خلال المؤتمرات، والملتقيات وغير ذلك من الأساليب.

وقد لمس العقلاء من المنتمين إلى العالم الثالث ذلك، حتى وجدنا إحدى السيدات تصرخ في مؤتمر السكان بالقاهرة قائلة: " هذا مؤتمر عجيب. لا نسمع فيه إلا الحديث عن حرية الإجهاض وتنظيم النسل والصحة الجنسية، بينما أطفالنا جائعون... لا يشربون مياها نظيفة ولا يذهبون إلى مدارس، ويفتقدون الرعاية الصحية.. ولا يتحدث أحد عن ذلك إنه مؤتمر تنظيم النسل فقط. " (عبد الرحمن في المجتمع، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م، ع ١١٤٧، ص٣٤).

ومن قبلها؛ احتجت دومتيلا، وهي زوجة عامل منجم بوليفي، في الكلمة التي ألقتها في مؤتمر المرأة عام ١٩٧٦م / ١٣٩٦ هـ، على من رأين في تحديد النسل حلا لمشكلة الجوع، وأشارت إلى أنها من خلال احتكاكها مع ما يقارب خمسة آلاف امرأة حضرن المؤتمر من سائر أنحاء الدنيا، فقد وجدت أن مصالح (البورجوازية) لا تمت بأية صلة إلى (مصالحنا نحن)؛ وتقصد الفقيرات أمثالها. (جارودي وآخرون، ١٤٠٢ هـ/ ١٩٨٢ م، ص ١٢٥).

ونجد أن وجهة نظر الإسلام تختلف تماما عن وجهة النظر الغربية؛ حيث يرى في تحديد النسل ظلما للنوع البشري، وحرمانا للإنسان من حقه في الوجود، إلى جانب أن

---

(١) في بعض الدول الإسلامية قد تعاقب المرأة إذا ما زاد عدد أطفالها عن حد معين. فمثلا ارتفعت بعض الأصوات في مصر مطالبة " بحرمان المرأة العاملة من بعض الحقوق والعلاوات الدورية إذا ما أنجبت أكثر من طفلين.. "، وقد أبيح الإجهاض في كل من تونس والصومال، باعتباره حلا من أجل مكافحة الزيادة في عدد السكان. (السعداوي، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٩٠٢).

الأرزاق بيد الله الذي يزود الإنسان بقدرات عقلية، وفعاليات؛ تمكنه من حسن استخدام ما أودعه الله في هذا الكون من خيرات. (مدنى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص ٢٠٨)، فالمشكلة في الإسلام تبدأ من الإنسان الذي يجب أن يتغير حتى يمكنه الإسهام في تغيير ما حوله.

ونجد من عقلاء الغربيين، من أدرك حقيقة المشكلة ومنهم بيتر باور وجوليان سايمون الذين سبحا عكس التيار السائد. فسايمون يرى بأن الجوع والفقر ليس مصدره كثرة السكان؛ لأن الملاحظ أن الدول التي تعاني منه هي أقل دول العالم كثافة في السكان، كما في إثيوبيا والصومال وزائير ومالي. في حين أن أكثر المناطق المكتظة بالسكان تتمتع بأوفر قدر من الرخاء كما في هونغ كونغ وماليزيا وسنغافورة إلى جانب سائر الدول الغربية، وقد توصل باور إلى نظرة الإسلام إلى المشكلة حيث أشار إلى أن الرخاء يتوقف على قدرة السكان العملية وسلوكهم وليس على عددهم أو ما لديهم من مصادر ثروة [1]. (القشطيني .. في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع٦١٩٤).

ويعلق الكاتب خالد القشطيني على رأي هذين العالمين في معرض حديثه عن مؤتمر السكان فيقول: ".. فمن السخف عقد كل هذه المؤتمرات الدولية للسيطرة على كثافة السكان وتحديد النسل." (القشطيني .. في الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٩٤).

وتشير نوال السعداوي إلى قصر نظر من يرون في تحديد النسل حلا لمشكلة السكان، حيث ترى بأن الحل الأمثل يتمثل في القضاء على الفقر الناتج عن تخلف المجتمعات الإسلامية، وكلاهما – الفقر والتخلف – يرجعان إلى سياسة الاستعمار الاقتصادي الذي لا يزال جاثما على الدول التي خرج منها وذلك من خلال نهبه لثرواتها: فالمشكلة السكانية " لن تعالج إلا بتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية السليمة " التي لا يمكن أن تتحقق بدون الاستقلال الاقتصادي. (السعداوي،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص ٩٠١).

(١) أثبتت التجارب أن أكثر الدول سكانا هي أعلاها في معدلات التنمية، ودليل ذلك؛ أن معدل التنمية في الصين يصل إلى ١٣٪ وهو أعلى من معدلات التنمية في كثير من الدول الغربية. (العبدة في البنيان، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع٨٧، ص٣٨).

ولا بد من تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى وجه الشبه بين ما تفعله المرأة المعاصرة من لجوء إلى الإجهاض من أجل حل مشكلة الفقر في بعض الأحيان؛ وبين ما كان الجاهليون يفعلونه من قتل أولادهم خشية الفقر، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾

[الإسراء]

ويعلق د. إبراهيم المحمود [1] على من ينادي بإباحة الإجهاض من أجل تحديد النسل، فيشير إلى أن هؤلاء ينطلقون في دعوتهم من الحرص على ألا يكون الأولاد عالة على المجتمع، أو لأمور تحسينية ترجع إلى الأم؛ كجمالها وقوتها، أو لتتفرغ للعمل وتحصل على الراحة النفسية من عناء تربية الأولاد لما يسببونه من شغل الوقت، والتوتر العصبي. وهو يرى بأن كل ذلك من دعوى الجاهلية الحديثة تحت شعار المدنية والحضارة، في حين أنها تمثل حرمانا للمجتمع المسلم من نعمة الأولاد، وفيه أيضا تشجيع للعابثين من أجل التستر على جرائمهم الأخلاقية، كما أن فيه عودة إلى الجاهلية في الوأد، إلى جانب الأضرار الصحية التي تعود على الأم. (الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع ٦١٥٣).

كذلك ينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن عبء تحديد النسل يقع في الغالب عليها وحدها إن هي سلمت به، حيث تطالب بأخذ حبوب منع الحمل، أو استخدام أية وسيلة أخرى، وتتحمل النتائج المترتبة على جسدها جراء ذلك. إضافة إلى أنه أحيانا ما تفشل الوسيلة في منع الحمل، مما قد يلجئها إلى الإجهاض الذي يتعارض مع الشرع ولا تقره القوانين، مما قد يعرضها لأخطار الإجهاض غير الطبي السليم، أو لجشع بعض الأطباء ممن يتاجرون بهذه العملية بسبب عدم قانونيتها.

وكما أشارت مجلة المجتمع فإن خطورة هذه الدعوات - تحديد النسل وإباحة الإجهاض، وأمثالها - تكمن في أنها تجعل الحكومات حارسة على تنفيذ هذه السياسات من قبل أفراد المجتمع، الأمر الذي يؤثر كثيرا على الناحية الأخلاقية للأفراد وعلى بنية المجتمع وتماسكه. (عبد الرحمن في المجتمع ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع١١٤٧، ص ٣٤).

وتشير نوال السعداوي إلى أثر سياسة تحديد النسل على الأسرة حيث تجعل الطفل ينشأ في جو غير طبيعي، بسبب عدم وجود الإخوة والأخوات الذين يمثل تفاعلهم مع

(١) أستاذ قسم الفقه بكلية الشريعة بالرياض.

بعضهم البعض جانبا مهما من تكوين الخبرات في الحياة. (السعداوي، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، ص ١٠٠).

فينبغي تنبيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أخطار هذه الدعوات والآثار السيئة التي يمكن أن تنجم عنها، وأن شعارات الحرية وحقوق المرأة وحقها في التمتع والترفيه " ما هي إلا قنطـرة تعبر عليها المنظمات الدولية المشبوهة لنسف أسس المجتمعات وضرب بنيتها وتماسكها، والتي تعد المرأة عمودها. والهدف الأخير هو تذويب المجتمعات، واختصارها إلى أشتات من الأفراد حتى تسلس قيادتها " (عبد الرحمن .. في المجتمع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥ م، ع١١٤٧، ص٣٥).

وأهم ما ينبغي التأكيد عليه في هذا الموضوع هو أن الذي يتماشى مع مبادئ الإسلام وأهدافه هو تنظيم النسل وليس تحديده؛ حيث جاء في السنة النبوية ما يشير إلى ذلك. فقد روى جابر رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: إن لي جارية هي خادمنا ... وأنا أطوف عليها وأنا أكره أن تحمل فقال له النبي ﷺ: " اعزل عنها إن شئت فسيأتيها ما قدر لها " (مسلم، د.ت، النكاح / ٢٢، ج ٢، ص ١٠٦٤).

وقد أشارت الباحثة مها الأبرش في بحثها عن الأمومة ومكانتها في الكتاب والسنة إلى أن ما يستعمل اليوم من وسائل لمنع الحمل المؤقت والتي لا تلحق ضررا بالإنسان تقاس في الحكم بالجواز أو عدمه على منع الحمل بالعزل، بعد أن توصف من قبل طبيب مسلم ثقة. كذلك الإجهاض فقد تلجئ إليه الضرورة التي يحددها طبيب مسلم ثقة. (الأبرش،١٤١٣ هـ/ ١٩٩م، ص٦٧٩).

وقد جاء ضمن قرارات مجلس الفقه الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي ما نصه:

" إن المجلس يقرر بالإجماع أنه لا يجوز تحديد النسل مطلقا، ولا يجوز منع الحمل إذا كان القصد من ذلك خشية الإملاق؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات] ، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، أو كان ذلك لأسباب أخرى غير معتبرة شرعا.

أما تعاطي أسباب منع الحمل أو تأخيره في حالات فردية لضرر محقق؛ كأن تكون المرأة لا تلد ولادة عادية وتضطر معها إلى إجراء عملية جراحية لإخراج الجنين فإنه لا مانع من ذلك شرعا.

أما الدعوة إلى تحديد النسل أو منع الحمل بصفة عامه، فلا تجوز شرعا للأسباب المتقدم ذكرها، وأشد من ذلك في الإثم والمنع إلزام الشعوب بذلك وفرضه عليها في الوقت الذي تنفق فيه الأموال الضخمة على سباق التسلح العالمي للسيطرة والتدمير بدلا من إنفاقه في التنمية الاقتصادية والتعمير وحاجات الشعوب." (الأبرش،١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م، ص ٦٧٩-٦٨٠).

٧- قضايا معاصرة تتعلق بالزواج:

أ- تعدد الزوجات:

إن الظاهرة التي لا تنكر عبر العالم كله هو كثرة عدد النساء على الرجال، ومن ثم كان في التعدد تكريما للمرأة، لما فيه من إسهام في بقاء النوع الذي يمثل أحد أهداف التربية الإسلامية، إضافة إلى موافقته للفطرة من حيث تلبيته حاجة المرأة إلى الزواج. وهو يعد أفضل حل في بعض الحالات مثل عقم المرأة أو كبر سنها أو غير ذلك من الظروف التي قد تمنعها من أداء حقوق زوجها كاملة.

وواقع المجتمعات الإسلامية يشير إلى أن التعدد أمر لا تقبل به كثير من النساء ويجدن فيه غبنا لهن، بل إن إحدى الدول الإسلامية قد تجاوزت الحد في الانحراف عن شرع الله، فمنعت التعدد أصلا وجعلته مستوجبا للعقوبة.

ومن تكريم الإسلام للمرأة في أمر التعدد أنه راعى ما بين البشر من فروق نفسية، لذلك نجده قد أباح لمن لا تجد في نفسها القدرة على الرضا بالتعدد؛ أن تشترط عدم زواج زوجها عليها، بحيث يطلقها إذا ما فعل. (زيدان، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج٦، ص ٢٩٢).

وفي مقابل عدم رضا المرأة بالتعدد، نجد في المجتمع من النساء من تقبل به في حين يقف أولياؤها عقبة أمام تحقيق رغبتها في الاقتران بمتزوج، ورفضهم هنا ينم عن جهل وحمق يدفعهم إلى التعدي على حق المرأة في الاختيار. فالمرأة لا تميل في العادة إلى التعدد، لكن رضاها به يدل على أنها قد وصلت إلى درجة من النضج التي تجعلها ترضى لنفسها بما لا ترضاه غالبية النساء ، وهي أكثر خبرة من أوليائها بقدرتها النفسية التي تجعلها تتحمل غياب زوجها عنها يوما أو أكثر. والإسلام حينما شدد على أخذ رأي الولي فإن ذلك من أجل ترشيد اختيار المرأة، وهذا الحرص لا ينبغي أن يدفعه إلى التجاوز بمنعها من التسليم لأحكام الله دون سبب يدعو إلى ذلك.

فينبغي الاهتمام بتوجيه المرأة المسلمة المعاصرة إلى أن من كمال الإيمان التسليم لأوامر الله ونواهيه في كل الأمور، دون بحث عن الحكمة من ورائها. وأن من الخطأ التسليم في أمورنا الدنيوية إلى المختصين من البشر، كالأطباء، والمهندسين، وغيرهم، في حين نرفض التسليم لرب البشر الذي خلق الإنسان ووضع له المنهج الملائم له وصدق الله العظيم الذي قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك]

وهناك من نساء الغرب المثقفات ممن اعتنقن الإسلام من اخترن التعدد عن رضا وقناعة – وكما يقول هوفمان – فإن التعدد يمثل أفضل الحلول للنساء المصابات بأمراض مستعصية كالسرطان مثلا، فيمكن للمرأة المصابة به أن ترضى بضرة، تساعدها في مسئولياتها وتؤازرها، وتتعود على أطفالها حتى لا يهتز نظام الأسرة بغيابها. (هوفمان، ١٤١٣ هـ/ ١٩٩٣ م، ص٢٠١).

ومن المهم أن توجه التربية نظر المرأة المسلمة المعاصرة إلى ما ينتشر في المجتمعات التي لا تسمح نظمها بالتعدد من فوضى جنسيه وتفسخ خلقي وتحايل على النظم، ويشير إلى ذلك إتيان دينيه حيث يقـول: " إن نظرية التوحيد في الزوجة، وهي النظرية الآخذة بها المسيحية ظاهرا، تنطوي عنها سيئات متعددة ظهرت على الأخص في ثلاث نتائج واقعية شديدة الخطر، جسيمة البلاء، تلك هي الدعارة، والعوانس من النساء، والأبناء غير الشرعيين، وإن هذه الأمراض الاجتماعية ذات السيئات الأخلاقية لم تكن تعرفها البلاد التي طبقت فيها الشريعة الإسلامية تمام التطبيق، وإنما دخلتها وانتشرت فيها بعد الاحتكاك بالمدنية الغربية. "(دينيه عن الخولي في المؤتمر الثالث للسيرة والسنة،١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م ، ج٢، ص٤٣)، ويقول جوستاف لوبون:" وأرجو أن يثبت عند القاريء ...، بعد أن يطرح عنه أوهامه أن مبدأ تعدد الزوجات الشرقي نظام طيب. يرفع المستوى الأخلاقي في الأمم التي تقول به، ويزيد الأسرة ارتباطا، ويمنح المرأة احتراما وسعادة لا تراهما في أوروبا..[1] " (لوبون، د. ت، ص ٣٩٧)

(١) في ظل البعد عن المنهج الإسلامي في الحياة، انتشر ما يسمى بـ (زواج المسيار) في بعض المجتمعات الإسلامية، والذي يسميه البعض (زوج الخفافيش) حيث يعمد الرجل إلى الزواج من أخرى، أي أنه يعدد، ولكن على خفاء من زوجته الأولى درءا لما قد ينتج عن ذلك من مشكلات. (عكاظ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، ع ١٠٩٠٤).

ب- شيوع علاقات العصبيات العائلية والقبلية:

يعاني المجتمع الإسلامي من سيادة أشكال مختلفة من العصبيات التي تعوق تطوره وعودته إلى أصالته. ومن ذلك ما يحدث من حرمان المرأة في كثير من البيئات من الزواج بالكفء لأنه لا يناسبها في النسب أو المكانة الاجتماعية، إلى غير ذلك من الأسباب التي تمنع الفتاة من نيل حقها في الزواج، ومن ثم يحكم عليها بالعنوسة. ويغفل المجتمع أن تأخير الزواج ييسر السبيل للشيطان في إضلال البشر وجرفهم وراء الشهوات، في حين أن توجيهات الرسول ﷺ تحث على التبكير في زواج البنت، حيث روى عنه عليه السلام أنه قال لعلي رضي الله عنه: " ثلاث يا علي لا تؤخرهن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيم[1] إذا وجدت كفوءا." (الحاكم، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠ م، ج٢، ص ١٧٦).

كذلك يغفل المجتمع عن المعيار الأساسي في الكفاءة وهو الدين الذي أشار إليه الرسول ﷺ فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: " إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض." (ابن ماجه، د.ت، ج١، النكاح / ٤٦، ص ٦٣٢).

فينبغي الاهتمام بتحذير أفراد المجتمع الإسلامي من العصبية التي حذر منها الإسلام تحذيرا شديدا، وعدها من بقايا الجاهلية المقيتة. يقول الرسول ﷺ: " دعوها فإنها منتنة. " (مسلم، د.ت، البر/ ١٦،ج٤، ص ١٩٩٩)، ومن ثم وجدنا التوجيهات القرآنية حريصة على تعزيز قيم التوحيد بين أفراد الأمة الإسلامية، ونبذ ما عداها. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾

وهذا يؤكد لنا أن عدم تسليم المرأة لشرع الله سبحانه وتعالى يجعلها الضحية الأولى لما قد يقع فيه المجتمع من أخطاء نتيجة لذلك. فمثل هذا الزواج يجعل من المرأة مجرد أداة لا شريكة في صنع الحياة، وهو ظرف اضطرت المرأة للقبول به من أجل إشباع حاجتها الفطرية، لكن لا يمكن الحكم على مثل هذه العلاقة بأنها طبيعية لأنها لدى البعض تعفي الرجل تماما من القوامة المادية، حيث تتكفل المرأة العاملة أو الغنية بكافة المسئوليات المالية.

وهنا يبرز سؤال يتعلق بالمسئوليات المعنوية تجاه الزوجة، وتجاه ما قد يثمر عنه مثل هذا الزواج من أبناء. وهي أمور لابد أن تجعل كلا الطرفين يفكران كثيرا قبل الإقدام عليه.

(١) التي لا زوج لها. (الرازي، د. ت، ص٣٦).

ولابد من تنبيه أفراد المجتمع الإسلامي أيضا إلى أن في التعصب تشبها بإبليس اللعين الذي تعصب لجنسه، فرفض الانصياع لأوامر خالقه، في حين أن الله سبحانه وتعالى قد جعل التقوى هي المعيار الأساسي في التفضيل، حيث يقول سبحانه وتعالى في ذلك: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

ويشير صبر إلى الأسباب التي تدفع بالأفراد إلى العصبية فيذكر من أهمها:

١-ضعف الوازع الديني وعدم الالتزام بالنصوص الشرعية التي تنهي عن هذا المرض.

٢-عدم قيام المؤسسات التربوية بدورها في قمع ومحاربة هذا المرض، حيث نجد أن إبادة هذا المرض في صدر الإسلام لم تتم إلا بعد تربية قرآنية ونبوية استمرت قرابة ثلاثة وعشرين عاما.

٣-تحكم الأهواء والمطامع الشخصية في نفوس البعض.

٤-ضعف الروابط بين أفراد المجتمع والتي تجعل كل فئة تتكتل حول نفسها في شئون الزواج والعمل وغيره، وعدم الثقة بغيرها.

٥-توفر الأموال والأفراد بكثرة عند بعض الجماعات والأسر دون غيرها مما يدفعهم إلى محاولة إخضاع الآخرين والسيطرة عليهم دون أن يفكروا في أن الله سبحانه وتعالى الذي وهبهم النعم قادر على حرمانهم منها إذا لم يؤدوا شكرها. (صبر في النور،١٤١٦ هـ / ١٩٩٥م،ع٥١، ص٢٠-٢١).

ج- ارتفاع سن الزواج:

من الآثار التي ترتبت على تعليم البنات، ارتفاع سن الزواج، حيث أصبحت الفتاة في كثير من البيئات في المجتمع الإسلامي لا تتزوج إلا بعد إكمال دراستها والحصول على شهادة علمية تمكنها من الالتحاق بالعمل. إلى جانب أن الأوضاع الاقتصادية في بعض البلدان العربية تفرض على الفتاة العمل لفترة قبل الزواج؛ حتى تحقق مستوى ماديا

يسمح لها بالإسهام في تكاليف الزواج ومساعدة الزوج في النفقات الباهظة التي يحتاجها الوضع الجديد. (تقرير العائلة العربية، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م، ص ج).

ونجد القرآن الكريم يشير إلى أن هذه الأعذار ينبغي ألا يكون لها مكان في عقل الفرد المسلم، حيث إن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بإعانة الفقراء من الأزواج بنفسه، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور:٣٢].

والآية تشير إلى أهمية التوكل في حياة الإنسان، والتربية هي التي تغرس في نفس الفرد المسلم أن التوكل الحق لا يعدو استعمال القوانين الكونية على وجهها الصحيح، وأن معاكستها ليست من التوكل في شيء، وأن الآخذ بالأسباب جزء من التوكل.

وقد أوجد هذا المفهوم المنحرف للتوكل ثغرة ينفذ منها إلى الإسلام باعتباره معيقا لنهضة المسلمين من خلال غرسه روح التواكل والعجز والكسل بينهم، وذلك بسبب ما عليه واقع المسلمين من تخلف تسبب فيه قعودهم عن تطبيق سنة الله سبحانه وتعالى في الأخذ بالأسباب مع التوكل. (العمري، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤، ج١، ص٦٢).

د- انحراف مفهوم الزواج:

بدلا من أن يكون الزواج معينا للمرأة على الاستقرار وإحسان الأداء في العمل أو الدراسة، أصبح الزواج معيقا خاصة بالنسبة للدارسة؛ حيث نجد هذه النظرة القاصرة لدى كثير من الفتيات أو ذويهن الذين يؤجلون زواج الفتاة سنوات عديدة بحجة إكمال الدراسة. ولا أدل على هذه النظرة من تعليق ورد على لسان أستاذة في الطب النفسي بجامعة الأزهر عندما سئلت عن رأيها في زواج الفتاة أثناء الدراسة فأجابت بأنه يمثل عودة " إلى الوراء لسنوات طويلة. "(مجلة الشرق الأوسط، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ع٤٨٣، ص٤٥).

هـ- انتشار موضة الزواج التجاري:

لقد أخضعت المرأة لديناميات السوق؛ مما أدى إلى تصاعد قيمة المهور خاصة في

الأسر ذات المستوى الاقتصادي المرتفع، فكان ذلك أحد أسباب تأخير سن الزواج لدى الجنسين. إذ أصبح الزواج يمثل مشكلة تقصم الظهور بما يحتاجه من مستلزمات مادية دون أن يبالي الأولياء بما قد ينجم عن ذلك من شيوع للانحلال.

ونجد أن من **أسباب ارتفاع المهور**:

أ-**جشع الآبـاء**: الذي يدفعهم إلى طلب مهور عالية لبناتهم، خاصة إذا ما كانت البنت تعمل.[1]

ب-**شيوع النمط الاستهلاكي**: والذي يدفع الفتاة و / أو أهلها إلى طلب أثاث من طراز معين وإقامة ولائم وحفلات ما أنزل الله بها من سلطان، مما يدفع بكثير من الأزواج والأولياء إلى الاستدانه من أجل الاستعانه على إتمام زواج البنت. وهذا ما زاد من تفضيل المجتمع للذكور على الإناث الذين لا يكلفون ذويهم ما تكلفهم إياه البنت.

ونجد في بعض البيئات أن من بين الأمهات من لا زالت حتى اليوم تفكر بمنطق متخلف يجعلها ترى في ابنتها عبئا تحمل همه منذ ولادتها، ولا تشعر بالراحة إلا بعد زواجها، حيث تظل طوال الوقت تحمل هم تجهيزها.

فينبغي الاهتمام بتوجيه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إلى حقيقة الزواج في الإسلام الذي هو سبيل مودة ورحمة، وليس شقاء وحسرة بما يتكلفه الأولياء من ديون، سيما وأن التوجيهات النبوية الكريمة تؤكد على أهمية التيسير وعدم التعسير؛ حيث يقول ﷺ: " يسروا ولا تعسروا. " (أبو داود، د.ت، ج٤، الأدب / رقم ٤٨٣٥، ص ٢٦٠).

كما نجده عليه السلام قد أعطى القدوة من نفسه فلم " يفرق في كل المهور التي دفعها بشخصه لزوجاته؛ إذ كانت جميع المهور التي قدمها متماثلة، لم تتعد خمسمائة درهم. فقد

(١) أرسلت إحدى الفتيات إلى إحدى الصحف تعرض مشكلتها المتمثلة في أن والدها الذي حدد مبلغا كبيرا ثمنا لها - مهر - لم يرض بتزويجها من الكثيرين الذين تقدموا لخطبتها، مما جعلها تنجرف وراء الأهواء لتقضي وقتها مع الهاتف، في الوقت الذي تتألم فيه نفسيا لوضعها وتحترق شوقا إلى الزوج والولد. (قتلني أبي..في عكاظ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ع ١٠٥٠٦).

روى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: " سألت عائشة ﵂ زوج النبي ﷺ: كم كان صداق رسول الله ﷺ ؟ قالت: كان صداقة لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشا. قالت أتدري ما النش؟ قال: قلت لا. قالت: نصف أوقية. فتلك خمسمائة درهم. فهذا صداق رسول الله ﷺ لأزواجه. " (مسلم، د.ت، ج٢، النكاح/ ١٣، ص١٠٤٢).

لكن كثيرا من مسلمي اليوم " يعيشون حياة بعيدة عن الهدى النبوي إلا من عصم الله، حيث فقدوا في أفراحهم القدوة الحسنة، وساد التفاخر والتنافس في المهور، وسعرت الفتيات، ونال فريقا من النساء أكبر قدر من الظلم، وهن الثيبات، حيث استقر في الذهن الاجتماعي عدم مساواتهن بالأبكار في المهور وأفراح العرس، وذلك على خلاف هدي الرسول ﷺ الذي ساوى بين الجميع في المهور، بل ورخص في أن يكون المهر ولو خاتما من حديد.. " (خفاجي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ٣٨)، كما أنه ﷺ قد زوج أحد الصحابة بما معه من القرآن، فقد روى سهل بن سعد الساعدي ﵁ فقال: " جاءت امرأة الى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إني قد وهبت لك من نفسي، فقال رجل: زوجنيها قال قد زوجناكها بما معك من القرآن." (مسلم، ج٢، النكاح/ ١٣، ص١٠٤١).

ويتحدث بو علي ياسين عن انتشار القيم المادية الذي ألقى بظلاله على أمور الزواج في سوريا، وهي مظاهر تنطبق على غالبية المجتمعات الإسلامية؛ حيث ينظر الأهل إلى مدى الفائدة التي سوف يجنونها من وراء ابنتهم، فيعمدون في بعض البيئات إلى حرمان البنت من المهر حيث يأخذه الأب ليزوج به أحد أبنائه أو ليزوج به نفسه. فاغتصاب المهر، و المقايضة بالمرأة يمثلان معاملة المرأة كسلعة، وهما شكلان من أشكال الزواج " يتبعان نوعين من العلاقات الاجتماعية الاقتصادية: العلاقات المتخلفة، والعلاقات الرأسمالية. فالعلاقات المتخلفة، وهي علاقات قديمة تعيش في غير عصرها، تضم الروابط العشائرية والعائلية.. وتنتشر في البوادي وبعض الأرياف وبشكل محدود في المدن.. أما العلاقات الرأسمالية فتنتشر في المدن وتغزو ... جميع الأرياف.." (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٣٢-٣٤).

و- العنوسة:

في ظل التخلف الذي ألقى بظلاله على جميع جوانب الحياة في المجتمع الإسلامي فقد أصبح تعليم الفتاة سببا من الأسباب التي قد تؤدي إلى حرمان الفتاة من حقها الطبيعي في الزواج، فرغبة الفتاة في طلب العلم، وعدم تقبل ثقافة المجتمع في غالب البيئات لفكرة إكمال الفتاة لدراستها بعد الزواج، قد جعلت كثيرا من الفتيات يؤجلن إتمام الزواج حتى الانتهاء من الدراسة، مما يتسبب في ارتفاع أعمارهن، وإعراض الأزواج عنهن [1] .

ويتحدث محي الدين عبد الحميد عن العوامل التي تعيق زواج الفتاة فيقسمها إلى ثلاثة أقسام؛ منها ما يتعلق بالمرأة ومنها ما يتعلق بالمجتمع ومنها ما يتعلق بالرجل وذلك على النحو التالي:

١-عوامل تتعلق بالمرأة:

أ-أن تنشأ الفتاة مدللة فترفض الزواج بحجة صغر السن ويشجعها أولياؤها على ذلك.

ب-رغبة الفتاة في إكمال التعليم.

ج- تأثر الفتاة بقصص الزواج الفاشلة.

د- تأثر الفتاة بخيالات وأوهام تربطها بفتيان معينين (فتى الأحلام).

٢-عادات اجتماعية وأعراف سائدة:

مثل الشبكة، المهر، مؤخر الصداق، السكن، قصر الأفراح.. إلخ.

٣-عوامل متعلقة بالرجل:

مثل العوز المادي وعدم النضج الفكري والعاطفي لدى البعض.(عبد الحميد، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م، ص ٦٤-٦٦).

فينبغي الاهتمام بتوجه انتباه أفراد المجتمع الإسلامي - ذكورا وإناثا - إلى الجوانب

(١) انظر: Beck and Keddic, 1978,P.89.

الإنسانية والاجتماعية لمشكلة العنوسة، بحيث تعمل التربية من خلال مؤسساتها كافة على تغيير نظرة المجتمع إلى الزواج، وحثه على الالتزام بالهدي النبوي فيه.

فمن غير الإنساني أن يحرم عدد لا بأس به من النساء من تلبية حاجة أساسية لديه، وهي حاجة الجنس، وبالتالي يحرمن من إنجاب الأطفال والتنعم بعاطفة الأمومة، وأن تجد المرأة نفسها في أواخر العمر وحيدة دون معيل أو أنيس (ياسي، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٩٠).

ويؤكد بو علي ياسين على أن العانس هي ضحية للمجتمع الذي يزيد من وطأة المشكلة عليها حين يحتقر فيها هذه الصفة- العنوسة- التي جعلتها غير جديرة بالعطاء الإنساني- الإنجاب- وينسى المجتمع حين يتسبب في عنوسة المرأة أن الضحية قد تصاب بسبب ذلك بالحقد الذي يملأ نفسها ضد المجتمع فتنطوي على نفسها تجتر أحزانها ما لم تتسلح بسلاح الإيمان الذي يعزيها بأن كل شيء إنما هو بقدر. (ياسين، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ٩١).

يقول الشيخ الغزالي: " لقد أسهمت التقاليد الإسلامية البالية البعيدة عن أحكام الدين في استشراء الفساد والجنس الذي نلمسه في مجتمعاتنا ومن ذلك:

١- جعل الزواج مشكلة اقتصادية رهيبة.

٢- فساد الصورة الإنسانية لوظيفة المرأة قبل الزواج وبعده.

٣- الجهل التام بدور الأسرة في التربية على امتداد مراحل العمر.

وهي تقاليد تنهض على الرياء والتظاهر والتكلف وقد كانت ولا زالت من أسباب انهيار الحضارة الإسلامية ونشأة أجيال على درجة عالية من التفاهة[1] (الغزالي،١٣٩١هـ / ١٩٧١م، ص٢٤٠).

---

(١) وصل متوسط سن الزواج للفتاة المصرية ٣٢ عاما في أغلب المدن المصرية وإلى ٣٥ عاما للشباب، وأصبح ٦٥٪ من شباب مصر عوانس في حين لازال الزواج المبكر مسيطرا في الأرياف وقد أوضح تقرير للجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء أن أبرز نتائج تأخر الزواج تمثلت في عمليات الانتحار التي تلجأ إليها الفتيات للخلاص من مجتمع يعتبر الزواج هو كل شيء بالنسبة للبنت. يقول د. أحمد المجدوب الأستاذ بمركز البحوث الاجتماعية والجنائية معلقا على التقرير: " إن الإلحاح الدائم من الأسرة لكي تتزوج البنت يمثل لها عقدة ربما تدفعها للانتحار كما حدث في حالات كثيرة مؤخرا. " (صحيفة صوت العرب، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م،ع٣٢٩).

ثامنا: من مظاهر تكريم الإسلام للمرأة:

من أبرز مظاهر تكريم الإسلام للمرأة ما يلي:

أ- حرية الاختيار:

جعل الإسلام للمرأة حرية الاختيار من بين من يتقدم إليها للزواج، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ" الثيب أحق بنفسها من وليها. والبكر تستأمر وإذنها سكوتها" (مسلم، د.ت، ج٢، النكاح/ ٩، ص١٠٣٧).

والإسلام قد حرص على رأي الولي، ليؤكد على أهمية الإحسان عند الاختيار، فهو ليس إلغاء لإرادة المرأة؛ بل ترشيدا لها، وفي ذلك يقول الإمام الشافعي: ".. كيلا تضع المرأة نفسها في غير كفء" (ابن حجر، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٤ م، ج١٠، ص١٦٥).

يقول ﷺ " أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل.. فنكاحها باطل.. فنكاحها باطل." (الحاكم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ج٢، ص ١٨٢).

لكن حين أعرضت المجتمعات الإسلامية عن عقيدتها؛ أصبح رأي الولي هو الأساس، مما أدى إلى إلحاق الظلم بالمرأة في كثير من الحالات، التي ينحصر فيها اهتمام الولي بالدرجة الأولى على الحفاظ على ثروة العائلة من أن تتبدد، أو على الطبقة الاجتماعية من أن يدخلها من هو أقل منها، أو على الرغبة في الانتقال إلى طبقة أعلى. بل إنه ومن خلال التربية التي تتلقاها المرأة كثيرا ما يحدث نوع من التشوه في وعيها مما يدفعها إلى أن تضع لنفسها أهدافا قريبة، وتطلعات بعيدة عن الأهداف الحقيقية من الزواج؛ فتعمد إلى اختيار زوجها وفقا لمواصفات لا تدخل الكفاءة في الدين التي حث عليها الرسول ﷺ من بينها.

فينبغي على التربية أن توجه المرأة المسلمة المعاصرة إلى الأسس السليمة للاختيار حتى تضمن لنفسها سعادة الدنيا والآخرة، بدلا من الشقاء الذي تبدو آثاره في الواقع على حياة من أسأن إلى أنفسهن حينما أسأن الاختيار.

ب- المهر:

المهر في اللغة هو الصداق (الرازي، د.ت، ص ١٩٦)، وقد ورد في القرآن الكريم بعدة أسماء: نحلة، فريضة، أجر.

قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا ٤﴾ [النساء].

وقال: ﴿فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةٗ﴾ [النساء:٢٤].

وفي **الشرع** هو " ما يعطى للزوجة في مقابل الاستمتاع بها " وهو عطية للمرأة مقابل انتقالها من بيت أبيها إلى بيت زوجها، تدل على رغبته فيها (قاروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، ص ٢٦٨-٢٦٩).

فالمهر (نحلة) أي عطاء لا يقابله عوض، فهو ليس ثمنا لها، وإنما دلالة تكريم تبين عظم قدرها؛ لأن الزواج لا يتم إلا بكلمة الله. وفي الحديث: "... فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله " (مسلم، د.ت، ج٢، الحج/ ١٩، ص ص٨٨٩-٨٩٠).

أما المهر فهو عطية خالصة للمرأة، تهيئها نفسيا لدخول الحياة الزوجية، حيث تؤدي واجبها في طاعة زوجها. والتكريم هنا معنوي وليس ماديا؛ لذلك حرص عليه الرسول ﷺ حتى أنه زوج أحد أصحابه بما معه من القرآن (البخاري،١٤٠١هـ / ١٩٨١م، ج٣، الوكالة / ٩، ص ٦٣).

لكن الذي يحدث في ظل العلاقات الاجتماعية التي يفرضها المد الرأسمالي، هو أنه يتضافر تأثير الأهل، مع تأثير المجتمع على وعي الفتاة، فتعمل على إيجاد أنماط استهلاك تتعلق بالزواج من أجل إرضاء الرغبة في (الوجاهة) الاجتماعية، ومن ثم ظهرت مشكلة غلاء المهور التي أصبحت تمثل عقبة أمام زواج عدد غير قليل من الشباب.

وقد بدأ ذلك في الأسر ذات المستويات المعيشية العالية، ثم تبعتها الأخرى، فأصبحت النزعة الاستهلاكية للفتاة، تجد فرص الإرضاء في الزواج، الذي أصبح وسيلة للصعود الطبقي من خلال اشتراط ما يشبه المستحيل من كماليات، وتجهيزات لا يستطيع أن يقدمها إلا فئة قليلة من الشباب. (ياسين، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، ص ٤٧-٤٨).

وقد استحدثت في مجتمعاتنا الإسلامية كثير من البدع التي لا أساس لها في الإسلام، أو هي مناقضة لما جاء به من تشريع، ومن ذلك إلقاء مسئولية تأثيث المنزل على الفتاة، في حين أن الإسلام يفرض ذلك على الرجل، وكذلك إلزام الزوج في بعض البلاد الإسلامية

بتقديم مبالغ مالية كبيرة - إلى جانب المهر - لوالد العروس ووالدتها، أو غيرهم من أقربائها، أو للعروس شخصيا قبل الدخول بها، إلى جانب بدعة المؤجل التي أصبحت تمثل أحد المعوقات في سبيل إحسان العلاقات بين الأزواج، وهي مؤشر على الظلم الذي شاع في المجتمعات الإسلامية من قبل الأزواج تجاه زوجاتهم، ومحاولة الأولياء تفاديه بالعوض المالي.

فينبغي على التربية أن تعمل على تنشئة كل من الرجل والمرأة على المبادئ والقيم الإسلامية التي تمكنهم من الإحسان في تعاملهم مع الآخرين، كما ينبغي توجيه المرأة خاصة إلى أن الزواج أكبر وأسمى من الأهداف القريبة التي تربطها بمحيط الأرض الضيق. وأن السعادة في الدنيا والآخرة لا تتحقق إلا باتباع توجيهات الإسلام ومن بينها الرضا، والقناعة بالقليل، الذي ستعم بركته حياتها؛ فقد قال ﷺ: " أكثرهن بركة أيسرهن مؤنة" (الهيثمي، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، ج ٢، ص ١٥).

* * *